آيَاتُ المَنَاسِكِ

من

(تيسير الكريم الرَّحمن)

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر ابن سعدي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٣٧٦)

جمعه ورتَّبه:

محمَّد خير بن نضال العزالدين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

آياتُ المَناسِكِ

من

(تيسير الكريم الرَّحمن)

للشيخ عبدالرحمن بن ناصر ابن سعدي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٣٧٦)

جمعه ورتَّبه:

محمَّدخير بن نضال العزالدين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فهذا كتاب جمعت فيه كلام **الشَّيخ العلَّامة أبي عبد الله عبد الرَّحمن بن ناصر ابن سِعديٍّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن آيات المناسك من تفسيره المشهور: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان).

وقد جاءت آيات المناسك في ثلاثة عشر سياقا في تسع سور من القرآن الكريم، وهن:

- سورة البقرة، وفيها أربعة سياقات.
- وسورة آل عمران.
- وسورة المائدة، وفيها سياقان.
- وسورة الأنعام.
- وسورة الحج.
- وسورة العنكبوت.
- وسورة الصافات.
- وسورة الفتح.
- وسورة الكوثر.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والله أسأل أن يرحم الشيخ ابن سِعديٍّ، وأن ينفعنا بعلومه، وأن يعلمنا تأويل كلامه ويوفقنا إلى العمل به، وأن يبارك في هذا الكتاب وينفعني به ومن يقرأ فيه ويطالعه، إنَّه سميع الدُّعاء.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ
قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ
لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا
ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ
ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا
وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ
وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤ -
١٢٩].

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١):

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

۞ يخبر تعالى عن عبده وخليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -المتَّفق على إمامته وجلالته، الَّذي كلٌّ من طوائف أهل الكتاب تدَّعيه، بل وكذلك المشركون-: أنَّ الله ابتلاه وامتحنه بكلمات، أي: بأوامر ونواه؛ كما هي عادة الله في ابتلائه لعباده؛ ليتبيَّن الكاذب الَّذي لا يثبت عند الابتلاء والامتحان، من الصَّادق الَّذي ترتفع درجته ويزيد قدره ويزكو عمله ويخلص ذهبه، وكان من أجلِّهم في هذا المقام: الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

۞ فأتمَّ ما ابتلاه الله به وأكمله ووفاه؛ فشكر الله له ذلك.

۞ ولم يزل الله شكورا؛ فـ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾؛ أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبديَّة، ويحصل لك الثَّناء الدَّائم، والأجر الجزيل، والتَّعظيم من كلِّ أحد.

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص٩٠.

ط٢. دار السلام: ص٥٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه –لعمر الله– أفضل درجة تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام شمَّر إليه العاملون، وأكمل حالة حصَّلها أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كلِّ صدِّيق متَّبع لهم داع إلى الله وإلى سبيله.

۞ فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام وأدرك هذا: طلب ذلك لذرِّيَّته؛ لتعلو درجته ودرجة ذرِّيَّته، وهذا أيضا من إمامته، ونصحه لعباد الله، ومحبَّته أن يكثر فيهم المرشدون، فللَّه عظمة هذه الهمم العالية والمقامات السامية.

۞ فأجابه الرَّحيم اللَّطيف، وأخبر بالمانع من نيل هذا المقام؛ فـ ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لا ينال الإمامة في الدِّين من ظلم نفسه وضرَّها، وحطَّ قدرها؛ لمنافاة الظُّلم لهذا المقام، فإنَّه مقام آلته: الصَّبر واليقين، ونتيجته: أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان، والأعمال الصَّالحة، والأخلاق الجميلة، والشَّمائل السَّديدة، والمحبَّة التامَّة، والخشية، والإنابة، فأين الظُّلم وهذا المقام؟.

ودلَّ مفهوم الآية: أنَّ غير الظَّالم سينال الإمامة؛ ولكن مع إتيانه بأسبابها.

***

ثمَّ ذكر تعالى نموذجا باقيا دالًّا على إمامة إبراهيم، وهو هذا البيت الحرام –الَّذي جعل قصده: ركنا من أركان الإسلام، حاطًّا للذنوب والآثام، وفيه من آثار الخليل وذرِّيَّته ما عرف به إمامته، وتذكِّرت به حالته–؛ فقال:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

۞ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: مرجعا يثوبون إليه؛ لحصول منافعهم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، يتردَّدون إليه ولا يقضون منه وطرا.

۞ ﴿وَ﴾ جعله ﴿أَمْنًا﴾: يأمن به كلُّ أحد، حتَّى الوحش، وحتَّى الجمادات كالأشجار، ولهذا كانوا في الجاهليَّة -على شركهم- يحترمونه أشدَّ الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه، فلمَّا جاء الإسلام: زاده حرمة وتعظيما، وتشريفا وتكريما.

۞ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾:

- يحتمل أن يكون المراد بذلك: المقام المعروف الَّذي قد جعل الآن مقابل باب الكعبة، وأنَّ المراد بهذا: ركعتا الطَّواف؛ يستحبُّ أن تكونا [١] خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسِّرين.

- ويحتمل أن يكون (المقام) مفردا مضافا؛ فيعمَّ جميع مقامات إبراهيم في الحجِّ، وهي المشاعر كلُّها؛ من الطَّواف والسَّعي، والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار، والنَّحر، وغير ذلك من أفعال الحجِّ.

- فيكون معنى قوله: ﴿مُصَلًّى﴾؛ أي: معبدا، أي: اقتدوا به في شعائر الحجِّ، ولعلَّ هذا المعنى أولى؛
  - لدخول المعنى الأوَّل فيه.

---

(١) في (ب): يكونا. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

- واحتمال اللَّفظ له.

۞ ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ ﴾؛ أي: أوحينا إليهما وأمرناهما؛ بتطهير بيت الله: من الشِّرك والكفر والمعاصي، ومن الرِّجس والنَّجاسات والأقذار؛ ليكون:

- ✓ ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ فيه.
- ✓ ﴿ وَٱلْعَـٰكِفِينَ ﴾.
- ✓ ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾؛ أي: المصلِّين.

قدَّم (الطَّواف)؛ لاختصاصه بالمسجد الحرام، ثمَّ (الاعتكاف)؛ لأنَّ من شرطه المسجد مطلقا، ثمَّ (الصَّلاة) مع أنَّها أفضل؛ لهذا المعنى.

وأضاف الباري (البيت) إليه لفوائد:

- منها أنَّ ذلك يقتضي شدَّة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره؛ لكونه: بيت الله؛ فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في ذلك.
- ومنها أنَّ الإضافة تقتضي التَّشريف والإكرام، ففي ضمنها: أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.
- ومنها أنَّ هذه الإضافة هي السَّبب الجاذب للقلوب إليه.

***

شبكة الألوكة
www.alukah.net

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

۞ أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت: أن يجعله الله بلدا آمنا، ويرزق أهله من أنواع الثَّمرات، ثمَّ قيَّد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذا الدُّعاء للمؤمنين؛ تأدُّبا مع الله؛ إذ كان دعاؤه الأوَّل فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيَّدا بغير الظالم.

۞ فلمَّا دعا لهم بالرِّزق وقيَّده بالمؤمن، وكان رزق الله شاملا للمؤمن والكافر والعاصي والطَّائع؛ قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾؛ أي: أرزقهم كلَّهم، مسلمهم وكافرهم؛

- أمَّا المسلم: فيستعين بالرِّزق على عبادة الله، ثمَّ ينتقل منه إلى نعيم الجنَّة.
- وأمَّا الكافر: فيتمتَّع فيها ﴿قَلِيلًا﴾، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾؛ أي: ألجئه وأخرجه مكرها ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ﴾، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

***

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ

شبكة الألوكة www.alukah.net

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل في حالة: رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على هذا العمل العظيم.

وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتَّى إنَّهما مع هذا العمل؛ دعوا الله:

١) أن يتقبَّل منهما عملهما؛ حتَّى يجعل [(١)] فيه النَّفع العميم.

***

ودعوا لأنفسهما وذريَّتهما:

٢) بالإسلام، الَّذي حقيقته: خضوع القلب وانقياده لربِّه، المتضمِّن لانقياد الجوارح.

٣) ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾؛ أي: علِّمناها على وجه الإراءة والمشاهدة؛ ليكون أبلغ.

- يحتمل أن يكون المراد بـ(المناسك): أعمال الحجِّ كلُّها، كما يدلُّ عليه السِّياق والمقام.

---

(١) في (ب): يحصل. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ويحتمل أن يكون المراد: ما هو أعمُّ من ذلك، وهو: الدِّين كلُّه، والعبادات كلُّها، كما يدلُّ عليه عموم اللَّفظ، لأنَّ (النُّسك): التَّعبُّد، ولكن غلب على متعبَّدات الحجِّ تغليبا عرفيًّا.

فيكون حاصل دعائهما: يرجع إلى التَّوفيق للعلم النَّافع والعمل الصَّالح.

٤) ولمَّا كان العبد -مهما كان- لا بدَّ أن يعتريه التَّقصير ويحتاج إلى التَّوبة؛ قالا: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾.

***

٥) ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾؛ أي: في ذرِّيَّتنا، ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾؛ ليكون أرفع لدرجتهما، ولينقادوا له، وليعرفوه حقيقة المعرفة، ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾: لفظا، وحفظا، وتحفيظا، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾؛ معنى، ﴿وَيُزَكِّيهِمۡۖ﴾: بالتَّربية على الأعمال الصَّالحة والتَّبرِّي من الأعمال الرَّديَّة الَّتي لا تزكو النَّفس[1] معها، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾؛ أي: القاهر لكلِّ شيء، الَّذي لا يمتنع على قوَّته شيء، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: الَّذي يضع الأشياء مواضعها؛ فبعزَّتك وحكمتك، ابعث فيهم هذا الرَّسول.

---

(١) في (ب): النُّفوس. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فاستجاب الله لهما؛ فبعث الله هذا الرَّسول الكريم، الَّذي رحم الله به ذريَّتهما خاصَّة، وسائر الخلق عامَّة، ولهذا قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**».

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال الله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٨].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١):

۞ يخبر تعالى أنَّ الصَّفا والمروة -وهما معروفان-؛ ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أعلام دينه الظَّاهرة الَّتي تعبَّد الله بها عباده.

وإذا كانا من شعائر الله؛ فقد أمر الله بتعظيم شعائره، فقال (٢): ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢].

فدلَّ مجموع النَّصَّين: أنَّهما من شعائر الله، وأنَّ تعظيم شعائره من تقوى القلوب.

والتَّقوى واجبة على كلِّ مكلَّف.

وذلك يدلُّ: على أنَّ السَّعي بهما فرض لازم للحجِّ والعمرة؛ كما عليه الجمهور، ودلَّت عليه الأحاديث النَّبويَّة، وفعله النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**».

۞ ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾: هذا دفع لوهم من توهَّم وتحرَّج من المسلمين عن الطَّواف بينهما؛ لكونهما في

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص١١٥.

ط٢. دار السلام: ص٧٢.

(٢) في (ب): وقال. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الجاهليَّة تعبد عندهما الأصنام؛ فنفى تعالى الجناح؛ لدفع هذا الوهم، لا لأنَّه غير لازم.

ودلَّ تقييد نفي الجناح فيمن تطوَّف بهما في الحجِّ والعمرة: أنَّه لا يتطوَّع بالسَّعي مفردا، إلَّا مع انضمامه لحجٍّ أو عمرة، بخلاف الطَّواف بالبيت؛ فإنَّه يشرع مع العمرة والحجِّ، وهو عبادة مفردة، فأمَّا السَّعي، والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار؛ فإنَّها تتبع النُّسك، فلو فعلت غير تابعة للنُّسك؛ كانت بدعة؛ لأنَّ البدعة نوعان:

- نوع يتعبَّد لله بعبادة لم يشرعها أصلا.
- ونوع يتعبَّد له بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصِّفة، وهذا منه.

۞ وقوله: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ ﴾؛ أي: فعل طاعة مخلصا بها لله تعالى، ﴿ خَيْرًا ﴾ من حجٍّ وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم، وغير ذلك: ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ [البَقَرَةِ: ١٨٤].

فدلَّ هذا: على أنَّه كلَّما ازداد العبد من طاعة الله؛ ازداد خيره وكماله ودرجته عند الله؛ لزيادة إيمانه.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ودل تقييد التَّطوُّع بالخير: أنَّ من تطوَّع بالبدع الَّتي لم يشرعها الله ولا رسوله؛ أنَّه لا يحصل له إلَّا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شرًّا له إن كان متعمِّدًا عالما لعدم[1] مشروعيَّة العمل.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ ﴾.

الشَّاكر والشَّكور: من أسماء الله تعالى؛

* الَّذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر.

* الَّذي إذا قام عبده بأوامره وامتثل طاعته؛ أعانه على ذلك وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نورا وإيمانا وسعة، وفي بدنه قوَّة ونشاطا، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق.

* ثمَّ بعد ذلك يقدم على الثَّواب الآجل عند ربِّه كاملا موفَّرا، لم تنقصه هذه الأمور.

* ومن شكره لعبده: أنَّ من ترك شيئا لله أعاضه الله خيرا منه، ومن تقرَّب منه شبرا تقرَّب منه ذراعا، ومن تقرَّب منه ذراعا تقرَّب منه باعا، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، ومن عامله ربح عليه أضعافا مضاعفة.

ومع أنَّه شاكر؛ فهو عليم:

(١) في (ب): بعدم. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

* بمن يستحقُّ الثَّواب الكامل، بحسب نيَّته وإيمانه وتقواه، ممَّن ليس كذلك.

* عليم بأعمال العباد فلا يضيِّعها، بل يجدونها أوفر ما كانت على حسب نيَّاتهم الَّتي اطَّلع عليها العليم الحكيم.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال الله تعالى:

﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١):

۞ فقوله (٢) تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ جمع (هلال):

- ما فائدتها وحكمتها؟.
- أو عن ذاتها؟.

۞ ﴿قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: جعلها الله تعالى بلطفه ورحمته؛ على هذا التَّدبير، يبدو الهلال ضعيفا في أوَّل الشَّهر، ثمَّ يتزايد إلى نصفه، ثمَّ يشرع في النَّقص إلى كماله، وهكذا؛ ليعرف النَّاس بذلك: مواقيت عباداتهم؛ من الصِّيام، وأوقات الزَّكاة، والكفَّارات، وأوقات الحج.

۞ ولمَّا كان الحجُّ يقع في أشهر معلومات، ويستغرق أوقاتا كثيرة؛ قال: ﴿وَٱلۡحَجِّ﴾.

وكذلك تعرف بذلك: أوقات الدُّيون المؤجَّلات، ومدَّة الإجارات، ومدَّة العدد والحمل، وغير ذلك ممَّا هو من حاجات الخلق.

فجعله تعالى: حسابا؛ يعرفه كلُّ أحد من صغير وكبير وعالم وجاهل، فلو كان الحساب بالسَّنة الشَّمسيَّة، لم يعرفه إلَّا النَّادر من النَّاس.

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص١٤٠.

ط٢. دار السلام: ص٨٦.

(٢) في(ب): يقول. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾، وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب؛ إذا أحرموا: لم يدخلوا البيوت من أبوابها؛ تعبُّدًا بذلك، وظنًّا أنه برٌّ؛ فأخبر الله أنه ليس من البرِّ[(١)]؛ لأنَّ الله تعالى لم يشرعه لهم، وكل من تعبَّد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله؛ فهو متعبِّد ببدعة.

وأمرهم: أن يأتوا البيوت ﴿مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾؛ لما فيه من السُّهولة عليهم، الَّتي هي قاعدة من قواعد الشرع.

ويستفاد من إشارة الآية: أنَّه ينبغي في كلِّ أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السَّهل القريب، الَّذي قد جعل له موصلا:

✓ فالآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر: ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرِّفق والسِّياسة، الَّتي بها يحصل المقصود أو بعضه.

✓ والمتعلِّم والمعلِّم: ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده.

وهكذا كلُّ من حاول أمرا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه؛ فلا بدَّ أن يحصل له المقصود، بعون الملك المعبود.

---

(١) في(ب): ببرٍّ. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

۞ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ هذا هو البرُّ الَّذي أمر الله به، وهو لزوم تقواه على الدَّوام؛ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ فإنَّه سبب للفلاح الَّذي هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب:

- فمن لم يتَّق الله تعالى؛ لم يكن له سبيل إلى الفلاح.
- ومن اتَّقاه؛ فاز بالفلاح والنَّجاح.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الله تعالى:

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ
رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ
فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا
ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ
عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ
فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ
فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ
فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ
وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ
أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ
فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي
ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ
وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ
سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ
إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ
تُحۡشَرُونَ ٢٠٣ ﴾ [البقرة: ١٩٦ - ٢٠٣].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

ولما فرغ تعالى من ذكر أحكام الصِّيام فالجهاد؛ ذكر أحكام الحجِّ، فقال:

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٩٦﴾.

يستدلُّ بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ على أمور:

* أحدها: وجوب الحجِّ والعمرة وفرضيَّتهما.

* الثَّاني: وجوب إتمامهما؛ بأركانهما وواجباتهما الَّتي قد دلَّ عليها: فعل النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**».

* الثَّالث: أنَّ فيه حجَّة لمن قال بوجوب العمرة.

* الرَّابع: أنَّ الحجَّ والعمرة يجب إتمامهما بالشُّروع فيهما؛ ولو كانا نفلا.

* الخامس: الأمر بإتقانهما وإحسانهما، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما.

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص١٤٥.
ط٢. دار السلام: ص٨٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

* السَّادس: وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى.

* السَّابع: أنَّه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتَّى يكملهما؛ إلَّا بما استثناه الله، وهو: (الحصر)؛ فلهذا قال: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾؛ أي: منعتم من الوصول إلى البيت لتكميلهما -بمرض، أو ضلالة، أو عدوٍّ، ونحو ذلك من أنواع (الحصر) الذي هو: المنع-؛ ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾؛ أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدي، وهو: سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة؛ يذبحها المحصر ويحلق ويحلُّ من إحرامه بسبب الحصر؛ كما فعل النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه لمَّا صدَّهم المشركون عام الحديبية، فإن لم يجد الهدي؛ فليصم بدله عشرة أيَّام -كما في المتمتِّع- ثمَّ يحلُّ.

۞ ثمَّ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾؛ وهذا من محظورات الإحرام: إزالة الشَّعر، بحلق أو غيره؛ لأنَّ المعنى واحد، من الرَّأس أو من البدن؛ لأنَّ المقصود من ذلك: حصول الشَّعث والمنع من التَّرفُّه بإزالته، وهو موجود في بقيَّة الشَّعر.

وقاس كثير من العلماء على إزالة الشَّعر: تقليم الأظفار؛ بجامع التَّرفُّه.

ويستمرُّ المنع ممَّا ذكر ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾، وهو يوم النَّحر.

والأفضل أن يكون الحلق بعد النَّحر؛ كما تدلُّ عليه الآية.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

* ويستدلُّ بهذه الآية على أنَّ المتمتِّع إذا ساق الهدي؛ لم يتحلَّل من عمرته قبل يوم النَّحر، فإذا طاف وسعى للعمرة؛ أحرم بالحجِّ، ولم يكن له إحلال؛ بسبب سوق الهدي.

وإنَّما منع -تبارك وتعالى- من ذلك؛ لما فيه من الذُّلِّ والخضوع لله والانكسار له والتواضع، الَّذي هو عين مصلحة العبد، وليس عليه في ذلك من ضرر.

۞ فإذا حصل الضَّرر -بأن كان ﴿ بِهِۦٓ أَذًى ﴾: ﴿ مِّن ﴾ مرض ينتفع بحلق ﴿ رَّأۡسِهِۦ ﴾ له، أو قروح، أو قمل، ونحو ذلك-؛ فإنَّه يحلُّ له أن يحلق رأسه، ولكن يكون عليه ﴿ فِدۡيَةٌ ﴾؛

- ﴿ مِّن صِيَامٍ ﴾ ثلاثة أيَّام.
- أو إطعام ستة مساكين [(١)].
- ﴿ أَوۡ نُسُكٍ ﴾ ما يجزئ في أضحية.

فهو مخيَّر، والنُّسك أفضل، فالصَّدقة، فالصِّيام.

---

(١) في(ب): ﴿ أَوۡ صَدَقَةٍ ﴾ على ستَّة مساكين. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومثل هذا، كلُّ ما كان في معنى ذلك -من تقليم الأظفار، أو تغطية الرَّأس، أو لبس المخيط، أو الطِّيب-؛ فإنَّه يجوز عند الضَّرورة، مع وجوب الفدية المذكورة؛ لأنَّ القصد من الجميع: إزالة ما به يترفَّه.

۞ ثم قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ ﴾؛ أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدوٍّ وغيره؛ ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ ﴾ بأن توصَّل بها إليه وانتفع بتمتُّعه بعد الفراغ منها؛ ﴿ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ ﴾؛ أي: فعليه ما تيسر من الهدي - وهو ما يجزئ في أضحية-، وهذا دم نسك؛

- مقابلة لحصول النُّسكين له في سفرة واحدة.
- ولإنعام الله عليه؛ بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة وقبل الشُّروع في الحجِّ.

ومثلها القِران؛

- لحصول النُّسكين له.

ويدلُّ مفهوم الآية على: أنَّ المفرد للحجِّ؛ ليس عليه هدي.

* ودلَّت الآية على: جواز -بل فضيلة- المتعة، وعلى: جواز فعلها في أشهر الحج.

۞ ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ ﴾ أي: الهدي أو ثمنه؛ ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلۡحَجِّ ﴾؛ أوَّل جوازها: من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها: ثلاثة أيَّام بعد النَّحر -أيَّام رمي

شبكة الألوكة www.alukah.net

الجمار والمبيت بمنى-، ولكن الأفضل منها [١] أن يصوم: السَّابع والثَّامن والتَّاسع، ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾؛ أي: فرغتم من أعمال الحج، فيجوز فعلها: في مكَّة، وفي الطَّريق، وعند وصوله إلى أهله.

۞ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من وجوب الهدي على المتمتِّع ﴿ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾؛ بأن كان عند مسافة قصر فأكثر، أو بعيدا عنه عرفا؛ فهذا الَّذي يجب عليه الهدي؛ لحصول النُّسكين له في سفر واحد، وأمَّا من كان أهله من حاضري المسجد الحرام: فليس عليه هدي؛ لعدم الموجب لذلك.

۞ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: في جميع أموركم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن ذلك: امتثالكم لهذه المأمورات واجتناب هذه المحظورات المذكورة في هذه الآية.

۞ ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾؛ أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتَّقوى، فإنَّ من خاف عقاب الله؛ انكفَّ عمَّا يوجب العقاب، كما أنَّ من رجا ثواب الله؛ عمل لما يوصله إلى الثَّواب، وأمَّا من لم يخف العقاب ولم يرج الثَّواب؛ اقتحم المحارم وتجرَّأ على ترك الواجبات.

***

---

(١) في(ب): فيها. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾.

يخبر تعالى أنَّ الحجَّ واقع في أشهر معلومات عند المخاطبين، مشهورات؛ بحيث لا تحتاج إلى تخصيص، كما احتاج الصِّيام إلى تعيين شهره، وكما بيَّن تعالى أوقات الصَّلوات الخمس، وأمَّا الحجَّ فقد كان من ملَّة إبراهيم الَّتي لم تزل مستمرَّة في ذرِّيَّته معروفة بينهم.

والمراد بـ (الأشهر المعلومات) -عند الجمهور [١]-: شوَّال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجَّة، فهي الَّتي يقع فيها الإحرام بالحجِّ غالبا.

۞ ﴿فَمَنۡ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾؛ أي: أحرم به؛ لأنَّ الشُّروع فيه يصيِّره فرضا ولو كان نفلا.

واستدلَّ بهذه الآية الشَّافعيُّ ومن تابعه: على أنَّه لا يجوز الإحرام بالحجِّ قبل أشهره، قلت: لو قيل: (إنَّ فيها دلالة لقول الجمهور بصحَّة الإحرام بالحجِّ قبل أشهره) لكان قريبا؛ فإنَّ قوله: ﴿فَمَنۡ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ دليل على أنَّ (الفرض) قد يقع في الأشهر المذكورة وقد لا يقع فيها، وإلَّا لم يقيِّده.

---

(١) في (ب): جمهور العلماء. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

۞ وقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾؛ أي: يجب أن تعظِّموا الإحرام بالحجِّ -وخصوصا الواقع في أشهره-، وتصونوه عن كلِّ ما يفسده أو ينقصه، من:

- الرَّفث، وهو الجماع ومقدِّماته الفعليَّة والقوليَّة، خصوصا عند النِّساء بحضرتهنَّ.
- والفسوق، وهو جميع المعاصي، ومنها: محظورات الإحرام.
- والجدال، وهو المماراة والمنازعة والمخاصمة؛ لكونها تثير الشَّرَّ وتوقع العداوة.

والمقصود من الحجِّ:

✓ الذُّلُّ والانكسار لله.

✓ والتَّقرُّب إليه بما أمكن من القربات.

✓ والتَّنزُّه عن مقارفة السيئات.

فإنَّه بذلك يكون مبرورا، والمبرور ليس له جزاء إلَّا الجنة.

وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كلِّ مكان وزمان؛ فإنَّه [1] يتغلَّظ المنع عنها في الحجِّ.

---

(١) في (ب): فإنَّها. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ واعلم أنَّه لا يتمُّ التَّقرُّب إلى الله بترك المعاصي حتَّى يفعل الأوامر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾، أتى بـ: ﴿مِنۡ﴾ للتَّنصيص على العموم؛ فكلُّ خير وقربة وعبادة داخل في ذلك، أي: فإنَّ الله به عليم، وهذا يتضمَّن غاية الحثِّ على أفعال الخير، وخصوصا في تلك البقاع الشَّريفة والحرمات المنيفة؛ فإنَّه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها، من صلاة وصيام وصدقة وطواف وإحسان قوليٍّ وفعليٍّ.

۞ ثمَّ أمر تعالى بالتَّزوُّد لهذا السَّفر المبارك؛ فإنَّ التَّزوُّد: فيه الاستغناء عن المخلوقين والكفُّ عن أموالهم -سؤالا واستشرافا-، وفي الإكثار منه: نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لربِّ العالمين.

وهذا الزَّاد -الَّذي المراد منه إقامة البنية- بلغة ومتاع.

۞ وأمَّا الزَّاد الحقيقيُّ المستمرُّ نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه: فهو زاد التَّقوى، الَّذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذَّة، وأجلِّ نعيم دائم أبدا، ومن ترك هذا الزَّاد فهو المنقطع به، الَّذي هو عرضة لكلِّ شرٍّ وممنوع من الوصول إلى دار المتَّقين، فهذا مدح للتَّقوى.

۞ ثمَّ أمر بها أولي الألباب فقال: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ أي: يا أهل العقول الرَّزينة اتَّقوا ربَّكم، الَّذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل وفساد الرأي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

***

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ
لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ
فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾.

۞ لمَّا أمر تعالى بالتَّقوى؛ أخبر تعالى: أنَّ ابتغاء فضل الله -بالتَّكسُّب في مواسم الحجِّ وغيره-: ليس فيه حرج إذا لم يشغل عمَّا يجب، إذا كان المقصود هو الحجُّ، وكان الكسب حلالا منسوبا إلى فضل الله، لا منسوبا إلى حذق العبد والوقوف مع السَّبب ونسيان المسبِّب، فإنَّ هذا هو الحرج بعينه.

۞ وفي قوله: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ ﴾؛ دلالة على أمور:

* أحدها: الوقوف بعرفة، وأنَّه كان معروفا أنَّه ركن من أركان الحج؛ فالإفاضة من عرفات لا تكون إلَّا بعد الوقوف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

* الثَّاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وهو المزدلفة، وذلك أيضا معروف، يكون ليلة النَّحر بائتا بها، وبعد صلاة الفجر يقف في المزدلفة داعيا، حتَّى يسفر جدًّا، ويدخل في ذكر الله عنده: إيقاع الفرائض والنَّوافل فيه.

* الثَّالث: أنَّ الوقوف بمزدلفة متأخِّر عن الوقوف بعرفة، كما تدلُّ عليه الفاء والتَّرتيب.

* الرَّابع، والخامس: أنَّ عرفات ومزدلفة كلاهما من مشاعر الحجِّ المقصود فعلها وإظهارها.

* السَّادس: أنَّ مزدلفة في الحرم، كمَّا قيَّده بالحرام.

* السَّابع: أنَّ عرفة في الحِلِّ، كما هو مفهوم التَّقييد بمزدلفة.

۞ ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾؛ أي: اذكروا الله تعالى؛ كما منَّ عليكم بالهداية بعد الضَّلال، وكما علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون، فهذه من أكبر النِّعم الَّتي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم بالقلب[١] واللِّسان.

***

(١) في(ب): فى القلب. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

۞ ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: ثمَّ أفيضوا من مزدلفة؛ من حيث أفاض النَّاس من لدن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى الآن.

والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفا عندهم، وهو: رمي الجمار، وذبح الهدايا، والطَّواف والسَّعي، والمبيت بمنى ليالي التَّشريق، وتكميل باقي المناسك.

۞ ولمَّا كانت هذه الإفاضة يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك؛ أمر تعالى عند الفراغ منها: باستغفاره والإكثار من ذكره؛

✓ فالاستغفار: للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها.

✓ وذكر الله: شكر الله على إنعامه عليه بالتَّوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنَّة الجسيمة.

وهكذا ينبغي للعبد كلَّما فرغ من عبادة: أن يستغفر الله عن التَّقصير، ويشكره على التَّوفيق، لا كمن يرى أنَّه قد أكمل العبادة ومنَّ بها على ربِّه وجعلت له محلًّا ومنزلة رفيعة؛ فهذا حقيق بالمقت، وردِّ الفعل، كما أنَّ الأوَّل حقيق بالقبول، والتَّوفيق لأعمال أخر.

۞ ثمَّ أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأنَّ الجميع: يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرُّهم، ولكن مقاصدهم تختلف:

شبكة الألوكة www.alukah.net

- فمنهم: ﴿مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: يسأله من مطالب الدُّنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب؛ لرغبته عنها، وقصر همَّته على الدُّنيا.

- ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدَّارين، ويفتقر إليه في مهمَّات دينه ودنياه.

وكلٌّ من هؤلاء وهؤلاء: لهم نصيب من كسبهم وعملهم، وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم وهمَّاتهم ونيَّاتهم؛ جزاء دائرا بين العدل والفضل، يحمد عليه أكمل حمد وأتمَّه.

* وفي هذه الآية: دليل على أنَّ الله يجيب دعوة كل داع، مسلما أو كافرا أو فاسقا، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه دليلا على محبَّته له وقربه منه، إلَّا في مطالب الآخرة ومهمَّات الدِّين.

والحسنة المطلوبة في الدُّنيا، يدخل فيها: كلُّ ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقرُّ به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة.

وحسنة الآخرة: هي السَّلامة من العقوبات في القبر والموقف والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنَّعيم المقيم، والقرب من الربِّ الرَّحيم.

فصار هذا الدُّعاء: أجمع دعاء وأكمله وأولاه بالإيثار؛ ولهذا كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من الدُّعاء به والحثِّ عليه.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

***

﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣ ﴾.

يأمر تعالى بذكره في الأيَّام المعدودات، وهي: أيَّام التَّشريق الثَّلاثة بعد العيد؛ لمزيَّتها وشرفها، وكون بقيَّة المناسك [1] تفعل بها، ولكون النَّاس أضيافا لله فيها؛ ولهذا حرم صيامها، فللذِّكر فيها مزيَّة ليست لغيرها؛ ولهذا قال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ: أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللهِ».

ويدخل في ذكر الله فيها: ذكره عند رمي الجمار، وعند الذَّبح، والذِّكر المقيَّد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنَّه يستحبُّ فيها التَّكبير المطلق، كالعشر، وليس ببعيد.

۞ ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾؛ أي: خرج من منى ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثَّاني: ﴿ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾، ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ ﴾؛ بأن بات بها ليلة الثَّالث ورمى من الغد: ﴿ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ ﴾.

وهذا تخفيف من الله تعالى على عباده في إباحة كلا الأمرين.

ولكن من المعلوم أنَّه إذا أبيح كلا الأمرين، فالمتأخِّر أفضل؛ لأنَّه أكثر عبادة.

(١) في(ب): أحكام المناسك. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ ولمَّا كان نفي الحرج قد يفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور وفي غيره، والحاصل أنَّ الحرج منفي عن المتقدِّم والمتأخِّر فقط: قيَّده بقوله: ﴿ لِمَنِ ٱتَّقَىٰٓۗ ﴾؛ أي: اتَّقى الله في جميع أموره وأحوال الحجِّ.

- ✓ فمن اتَّقى الله في كلِّ شيء؛ حصل له نفي الحرج في كلِّ شيء.
- ✓ ومن اتَّقاه في شيء دون شيء؛ كان الجزاء من جنس العمل.

۞ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ بامتثال أوامره واجتناب معاصيه.

۞ ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ فمجازيكم بأعمالكم، فمن اتَّقاه وجد جزاء التَّقوى عنده، ومن لم يتَّقه عاقبه أشدَّ العقوبة، فالعلم بالجزاء من أعظم الدَّواعي لتقوى الله؛ فلهذا حثَّ تعالى على العلم بذلك.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عِمران: ٩٦ - ٩٧].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١):

يخبر تعالى: بعظمة بيته الحرام، وأنَّه أوَّل البيوت الَّتي وضعها الله في الأرض لعبادته وإقامة ذكره، وأنَّ فيه من البركات وأنواع الهدايات وتنوُّع المصالح والمنافع للعالمين شيئا كثيرا وفضلا غزيرا.

***

وأنَّ فيه آيات بيِّنات تذكِّر بمقامات إبراهيم الخليل وتنقُّلاته في الحجِّ، ومن بعده تذكِّر بمقامات سيِّد الرُّسل وإمامهم، وفيه الأمن الَّذي من دخله كان آمنا قدرا مؤمَّنا شرعا ودينا.

فلمَّا احتوى على هذه الأمور -الَّتي هذه مجملاتها، وتكثر تفصيلاتها-: أوجب الله حجَّه على المكلَّفين المستطيعين إليه سبيلا، وهو الَّذي يقدر على الوصول إليه بأيِّ مركوب يناسبه وزاد يتزوَّده؛ ولهذا أتى بهذا اللَّفظ الَّذي يمكنه تطبيقه على جميع المركوبات الحادثة والَّتي ستحدث، وهذا من آيات القرآن؛ حيث كانت أحكامه صالحة لكلِّ زمان وكلِّ حال، ولا يمكن الصَّلاح التَّامُّ بدونها، فمن أذعن لذلك وقام به؛ فهو من المهتدين المؤمنين، ومن كفر فلم يلتزم حجَّ بيته؛ فهو خارج عن الدين، ومن كفر؛ فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين.

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص٢٣٠.

ط٢. دار السلام: ص١٤٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

***

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

يخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنَّه أوَّل بيت وضعه الله للنَّاس، يتعبَّدون فيه لربِّهم، فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطَّاعات والقربات ما ينالون به رضى ربِّهم والفوزَ بثوابه والنجاةَ من عقابه، ولهذا قال:

۞ ﴿مُبَارَكًا﴾، أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، كما قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ﴾ [الحج: ٢٨].

۞ ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، والهدى نوعان:

- هدى في المعرفة.
- وهدى في العمل.

فالهدى في العمل ظاهر: وهو ما جعل الله فيه من أنواع التَّعبُّدات المختصَّة به، وأمَّا هدى العلم: فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحقِّ بسبب الآيات البيِّنات الَّتي ذكر الله تعالى في قوله:

***

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص٢٠٥٩.

۞ ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾، أي: أدلَّة واضحات وبراهين قاطعات، على أنواع من العلوم الإلهيَّة والمطالب العالية؛ كالأدلَّة على: توحيده، ورحمته، وحكمته، وعظمته، وجلاله، وكمال علمه، وسعة جوده، وما مَنَّ به على أوليائه وأنبيائه.

۞ فمن الآيات: ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

- يحتمل أنَّ المراد به: المقام المعروف، وهو الحجر الَّذي كان يقوم عليه الخليل لبنيان الكعبة لمَّا ارتفع البنيان، وكان ملصقًا في جدار الكعبة، فلمَّا كان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وضعه في مكانه الموجود فيه الآن.

والآية فيه: قيل: أثر قدمي إبراهيم، قد أثَّرتْ في الصَّخرة وبقي ذلك الأثر إلى أوائل هذه الأمة، وهذا من خوارق العادات، وقيل: إنَّ الآية فيه ما أودعه الله في القلوب من تعظيمه وتكريمه وتشريفه واحترامه.

- ويحتمل أنَّ المراد بمقام إبراهيم: أنَّه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها، فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بيِّنات؛ كالطَّواف والسَّعي، ومواضعها، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمي، وسائر الشعائر.

والآية في ذلك: ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها، وبذل نفائس النفوس والأموال في الوصول إليها، وتحمُّل كلِّ مشقَّة لأجلها، وما في ضمنها من

شبكة الألوكة www.alukah.net

الأسرار البديعة والمعاني الرَّفيعة، وما في أفعالها من الحكم والمصالح الَّتي يعجز الخلق عن إحصاء بعضها.

ومن الآيات البيِّنات فيها أنَّ:

﴿ مَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ شرعا وقدرا:

- فالشَّرع: قد أمر الله رسوله إبراهيم ثمَّ رسوله محمَّدا باحترامه، وتأمين من دخله، وأن لا يهاج، حتَّى إنَّ التَّحريم في ذلك شمل صيودها وأشجارها ونباتها، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء أنَّ من جنى جناية خارج الحرم ثمَّ لجأ إليه أنَّه يأمن ولا يقام عليه الحد حتَّى يخرج منه.
- وأمَّا تأمينها قدرا: فلأنَّ الله تعالى بقضائه وقدره وضع في النُّفوس - حتَّى نفوس المشركين به الكافرين بربِّهم- احترامه، حتَّى إنَّ الواحد منهم مع شدَّة حميَّتهم ونعرتهم وعدم احتمالهم للضَّيم يجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيجه، ومن جعله حرما: أنَّ كلَّ من أراده بسوء فلا بدَّ أن يعاقبه عقوبة عاجلة، كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم.

وقد رأيت لابن القيِّم هاهنا كلاما حسنا، أحببت إيراده؛ لشدَّة الحاجة إليه، قال [١]:

---

(١) بدائع الفوائد، ط. مجمع الفقه: ص٤٥٥.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فائدة: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾.

۞ ﴿ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ مبتدأ.

۞ وخبره في أحد المجرورين قبله.

- والَّذي يقتضيه المعنى أن يكون في قوله: ﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾؛ لأنَّه وجوب، والوجوب يقتضي: (على).

- ويجوز أن يكون في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ﴾؛ لأنَّه متضمِّن الوجوب والاستحقاق.

ويرجِّح هذا التَّقدير: أنَّ الخبر محطُّ الفائدة وموضعها، وتقديمه في هذا الباب في نيَّة التَّأخير، فكان الأحسن أن يكون: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.

ويرجَّح الوجه الأوَّل بأن يقال: قوله: (حجُّ البيت على النَّاس) أكثر استعمالا في باب الوجوب من أن يقال: (حجُّ البيت لله)، أي: حقٌّ واجب لله، فتأمَّله.

وعلى هذا: ففي تقديم المجرور الأوَّل -وليس بخبر-؛ فائدتان:

إحداهما: أنَّه اسم للموجب للحجِّ، فكان أحقَّ بالتَّقديم من ذكر الوجوب، فتضمَّنت الآية ثلاثة أمور مرتَّبة بحسب الوقائع:

أحدها: الموجب لهذا الفرض، فبدأ بذكره.

والثَّاني: مؤدِّي الواجب، وهو المفترض عليه، وهم النَّاس.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والثَّالث: النِّسبة والحقُّ المتعلِّق، به إيجابا، وبهم وجوبا وأداء، وهو الحجُّ.

والفائدة الثَّانية: أنَّ الاسم المجرور من حيث كان اسما لله سبحانه، وجب الاهتمام بتقديمه؛ تعظيما لحرمة هذا الواجب الَّذي أوجبه، وتخويفا من تضييعه، إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه بمثابة ما يوجبه غيره.

۞ وأما قوله: ﴿ مَن ﴾ فهي بدل.

وقد استهوى طائفة من النَّاس القول بأنَّها: فاعل بالمصدر، كأنَّه قال: (أن يحجَّ البيت من استطاع إليه سبيلا)، وهذا القول يضعف من وجوه:

* منها: أنَّ الحجَّ فرض عين، ولو كان معنى الآية ما ذكره لأفهم فرض الكفاية؛ لأنَّه إذا حجَّ المستطيعون برئت ذمم غيرهم؛ لأنَّ المعنى يؤول إلى: (ولله على النَّاس حجُّ البيت مستطيعهم)، فإذا أدَّى المستطيعون الواجب لم يبق واجبا على غير المستطيعين، وليس الأمر كذلك، بل الحجُّ فرض عين على كلِّ أحد، حجَّ المستطيعون أو قعدوا، ولكنَّ الله سبحانه عذر غير المستطيع بعجزه عن أداء الواجب، فلا يؤاخذه به ولا يطالبه بأدائه، فإذا حجَّ سقط الفرض عن نفسه، وليس حجُّ المستطيعين بمسقط الفرض عن العاجزين.

وإذا أردت زيادة إيضاح، فإذا قلت: (واجب على أهل هذه الناحية أن يجاهد منهم الطَّائفة المستطيعون للجهاد)؛ فإذا جاهدت تلك الطَّائفة انقطع تعلُّق

شبكة الألوكة www.alukah.net

الوجوب في غيرهم، وإذا قلت: (واجب على النَّاس كلِّهم أن يجاهد منهم المستطيع)؛ كان الوجوب متعلِّقا بالجميع، وعذر العاجز بعجزه، ففي نظم الآية على هذا الوجه دون أن يقال: (ولله حجُّ البيت على المستطيعين)؛ هذه النُّكتة البديعة، فتأمَّلها.

* الوجه الثَّاني: أنَّ إضافة المصدر إلى الفاعل إذا وجد؛ أولى من إضافته إلى المفعول، ولا يعدل عن هذا الأصل إلَّا بدليل منقول، فلو كان ﴿مَن﴾ هو الفاعل؛ لأضيف المصدر إليه، فكان يقال: (ولله على النَّاس حجُّ من استطاع)، وحمله على باب: (يعجبني ضرب زيد عمروا)، وفيما يفصل فيه بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول والظرف حمل على المكتوب المرجوح، وهي قراءة ابن عامر: ﴿قَتْلُ أَوْلَـٰدَهُمْ شُرَكَآيِهِمْ﴾ [الأَنْعَام: ١٣٧]، فلا يصار إليه.

وإذا ثبت أنَّ ﴿مَن﴾ بدل بعض من كلٍّ؛ وجب أن يكون في الكلام ضمير يعود إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾؛ كأنه قيل: (من استطاع منهم)، وحذف هذا الضَّمير في أكثر الكلام: لا يحسن، وحسَّنه هاهنا أمور:

- منها: أنَّ ﴿مَن﴾ واقعة على من لا يعقل كالاسم المبدل منه؛ فارتبطت به.
- ومنها: أنَّها موصولة بما هو أخصُّ من الاسم الأوَّل، ولو كانت الصِّلة أعمَّ؛ لقبح حذف الضَّمير العائد، ومثال ذلك: إذا قلت: (رأيت إخوتك من ذهب إلى السوق منهم) كان قبيحا، لأنَّ الذَّاهب إلى السُّوق أعمُّ من

شبكة الألوكة www.alukah.net

الإخوة، وكذلك لو قلت: (البس الثِّياب ما حسن وجمل) تريد: منها، ولم تذكر الضَّمير؛ كان أبعد في الجواز؛ لأنَّ لفظ: (ما حسن) أعمُّ من الثِّياب، وباب البعض من الكل: أن يكون أخصَّ من المبدل منه، فإذا كان أعمَّ وأضفته إلى ضمير أو قيَّدته بضمير يعود إلى الأوَّل؛ ارتفع العموم، وبقي الخصوص.

- ومما حسَّن حذف المضاف في هذه أيضا -مع ما تقدم-: طول الكلام بالصِّلة والموصول.

۞ وأما المجرور من قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ (١)؛ فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع حال من (سبيل)، كأنَّه نعت نكرة قدِّم عليها؛ لأنَّه لو تأخَّر لكان في موضع النَّعت لـ(سبيل).

والثاني: أن يكون متعلِّقا بـ(سبيل)، فإن قلت: كيف يتعلَّق به وليس فيه معنى الفعل؟ قيل: السَّبيل لمَّا كان عبارة هاهنا عن الموصل إلى البيت من قوت وزاد ونحوهما، كان فيه رائحة الفعل، ولم يقصد به السَّبيل الَّذي هو الطَّريق، فصلح تعلُّق المجرور به، واقتضى حسن النَّظم وإعجاز اللَّفظ تقديم المجرور وإن كان

---

(١) المثبت في طبعة دار ابن الجوزي: ﴿لِلَّهِ﴾!، والتصويب من السِّياق؛ بمراجعة بدائع الفوائد، ونتائج الفكر.

شبكة الألوكة www.alukah.net

موضعه التَّأخير، لأنَّه ضمير يعود على ﴿ٱلْبَيْتِ﴾، والبيت هو المقصود به الاعتناء، وهم يقدِّمون في كلامهم ما هم به أهمُّ، وببيانه أعنى.

هذا تقرير السُّهيليِّ [١]، وهذا بعيد جدًّا.

بل الصَّواب في متعلَّق الجارِّ والمجرور وجه آخر أحسن من هذين، ولا يليق بالآية سواه: وهو الوجوب المفهوم من قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، أي: يجب لله على النَّاس الحجُّ، فهو حقٌّ واجب لله، وأمَّا تعليقه بـ(السبيل) وجعله حالًا منها؛ ففي غاية البعد، فتأمَّله، ولا يكاد يخطر بالبال من الآية، وهذا كما تقول: لله عليك الصَّلاة والزَّكاة والصِّيام.

ومن فوائد الآية وأسرارها:

أنَّه سبحانه إذا ذكر ما يوجبه ويحرِّمه يذكره:

- بلفظ الأمر والنَّهي، وهو الأكثر.
- وبلفظ الإيجاب والكتابة والتَّحريم، نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣]، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المَائـِدَة: ٣]، ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأَنْعَام: ١٥١].
- وفي الحجِّ أتى بهذا اللفظ الدَّال على تأكُّد الوجوب من عشرة أوجه:

---

(١) ط. دار الكتب العلمية: ص٢٤٠.

شبكة الألوكة www.alukah.net

١) أحدها: أنَّه قدَّم اسمه تعالى.

٢) وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص.

٣) ثمَّ ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم.

٤) الدَّاخلة عليها حرف (على).

٥) ثمَّ أبدل منه أهل الاستطاعة.

٦) ثمَّ نكَّر (السَّبيل) في سياق الشَّرط؛ إيذانا بأنَّه يجب الحجُّ على أي سبيل تيسَّرت، من قوت أو مال، فعلَّق الوجوب بحصول ما يسمَّى: ﴿ سَبِيلًا ﴾.

٧) ثمَّ أتبع ذلك بأعظم التَّهديد بالكفر، فقال: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾؛ أي: لعدم التزامه هذا الواجب وتركه.

٨) ثمَّ عظَّم الشَّأن وأكَّد الوعيد؛ بإخباره باستغنائه عنه، والله تعالى هو الغنيُّ الحميد، ولا حاجة به إلى حجِّ أحد، وإنَّما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام بمقته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه؛ ما هو أعظم التَّهديد وأبلغه.

٩) ثمَّ أكَّد ذلك بذكر اسم: ﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عموما، ولم يقل: (فإنَّ الله غنيٌّ عنه)؛ لأنَّه إذا كان غنيًّا عن العالمين كلِّهم؛ فله الغنى الكامل

شبكة الألوكة www.alukah.net

التَّامُّ من كلِّ وجه بكلِّ اعتبار، فكان أدلَّ على عظم مقته لتارك حقه الذي أوجبه عليه.

١٠) ثمَّ أكَّد هذا المعنى بأداة ﴿ إِنَّ ﴾ الدَّالَّة على التَّأكيد.

فهذه عشرة أوجه تقتضي تأكد هذا الفرض العظيم.

وتأمَّل سرَّ البدل في الآية، المقتضي لذكر الإسناد مرَّتين: مرَّة بإسناده إلى عموم النَّاس، ومرَّة بإسناده إلى خصوص المستطيعين، وهذا من فوائد البدل؛ تقوية المعنى وتأكيده بتكرُّر الإسناد، ولهذا كان في نيَّة تكرار العامل وإعادته.

ثمَّ تأمَّل ما في الآية من الإيضاح بعد الإبهام والتَّفصيل بعد الإجمال، وكيف تضمَّن ذلك إيراد الكلام في صورتين وحلَّتين؛ اعتناء به وتأكيدا لشأنه.

ثمَّ تأمَّل كيف افتتح هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت وعظم شأنه؛ بما يدعو النُّفوس إلى قصده وحجِّه -وإن لم يطلب ذلك منها-، فقال: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ... ﴾ إلخ، فوصفه بخمس صفات:

- أحدها: كونه أسبق بيوت العالم وضعا في الأرض.
- الثَّاني: أنَّه مبارك، والبركة: كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيرا ولا أدوم ولا أنفع للخلائق.
- الثَّالث: أنَّه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه؛ مبالغة، حتَّى كأنَّه نفس الهدى.

شبكة الألوكة www.alukah.net

- الرَّابع: ما تضمَّن من الآيات البيِّنات الَّتي تزيد على أربعين آية.
- الخامس: الأمن الحاصل لداخله.

وفي وصفه بهذه الصِّفات -دون إيجاب قصده- ما يبعث النُّفوس على حجِّه -وإن شطَّت بالزَّائرين الدِّيار، وتناءت بهم الأقطار-.

ثمَّ أتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكَّد بتلك التَّأكيدات، وهذا يدلُّ على الاعتناء منه سبحانه لهذا البيت العظيم، والتَّنويه بذكره، والتَّعظيم لشأنه، والرِّفعة من قدره.

ولو لم يكن له شرف إلَّا إضافته إيَّاه إلى نفسه بقوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ [الحج: ٢٦]؛ لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا، وهذه الإضافة هي الَّتي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حبًّا له وشوقا إلى رؤيته، فهذه المثابة للمحبِّين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطرا أبدا، كلَّما ازدادوا له زيارة؛ ازدادوا له حبًّا وإليه اشتياقا، فلا الوصال يشفيهم، ولا البعاد يسليهم، كما قيل:

أطوف به والنَّفس بعد مشوقة	إليه وهل بعد الطَّواف تداني
وألثم منه الرُّكن أطلب برد ما	بقلبي من شوق ومن هيمان
فوالله ما أزداد إلَّا صبابة	ولا القلب إلا كثرة الخفقان
فيا جنَّة المأوى ويا غاية المنى	ويا منيتي من دون كلِّ أمان
أبت غلبات الشَّوق إلَّا تقرُّبا	إليك فما لي بالبعاد يدان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما كان صدِّي عنك صدَّ ملالة ... ولي شاهد من مقلتي ولسان
دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا ... فلبَّى البكا والصَّبر عنك عصاني
وقد زعموا أنَّ المحبَّ إذا نأى ... سيبلى هواه بعد طول زمان
ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا ... دواء الهوى في النَّاس كلَّ زمان
بلى إنَّه يبلى والهوى ... على حاله لم يبله الملوان [1]
وهذا محبٌّ قاده الشَّوق والهوى ... بغير زمام قائد وعنان
أتاك على بعد المزار ولو ونت ... مطيَّته جاءت به القدمان

انتهى كلامه -رحمه الله تعالى-.

---

(١) في الهامش: (لعلَّ صواب هذا البيت قوله:
بلى إنَّه يبلي المحبُّ وإنَّه على ... على حاله لم يبله الملوان)
وفي بدائع الفوائد:
بلى إنَّه يبلى التَّصبُّر والهوى ... على حاله لم يبله الملوان
في الهامش بخطِّ المؤلِّف: أي الهوى.
اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ
ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا
يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى
ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة: ١ - ٢].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾.

۞ هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين: بما يقتضيه الإيمان؛ بالوفاء بالعقود؛ أي: بإكمالها وإتمامها وعدم نقضها ونقصها، وهذا شامل للعقود:

- الَّتي بين العبد وبين ربِّه؛ من التزام عبوديَّته، والقيام بها أتمَّ قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئا.
- والَّتي بينه وبين الرَّسول؛ بطاعته واتِّباعه.
- والَّتي بينه وبين الوالدين والأقارب؛ ببرِّهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم.
- والَّتي بينه وبين أصحابه؛ من القيام بحقوق الصُّحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر.
- والَّتي بينه وبين الخلق؛ من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التَّبرُّعات، كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين الَّتي عقدها الله بينهم، في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ﴾

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص٣٨٩.
ط٢. دار السلام: ص٢٣٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

[الحُجُرَات: ١٠]؛ بالتَّناصر على الحقِّ، والتَّعاون عليه، والتَّآلف بين المسلمين، وعدم التَّقاطع.

فهذا الأمر شامل لأصول الدِّين وفروعه؛ فكلُّها داخلة في العقود الَّتي أمر الله بالقيام بها.

[ويستدلُّ بهذه الآية: أنَّ الأصل في العقود والشُّروط؛ الإباحة، وأنَّها تنعقد بما دلَّ عليها من قول أو فعل؛ لإطلاقها][(١)].

۞ ثمَّ قال ممتنًّا على عباده: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم﴾؛ أي: لأجلكم؛ رحمة بكم: ﴿بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ من الإبل والبقر والغنم، بل ربَّما دخل في ذلك الوحشيُّ منها والظِّباء وحمر الوحش ونحوها من الصُّيود، واستدلَّ بعض الصَّحابة بهذه الآية على: إباحة الجنين الَّذي يموت في بطن أمِّه بعدما تذبح.

۞ ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تحريمه منها في قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ [المَائـِدَة: ٣]، إلى آخر الآية؛ فإنَّ هذه المذكورات وإن كانت من بهيمة الأنعام؛ فإنَّها محرَّمة.

---

(١) زيادة من هامش (ب)، ولم يظهر ما يوضح موضع هذه الزيادة، ولعل هذا الموضع هو الأنسب، والله أعلم.

اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ ولمَّا كانت إباحة بهيمة الأنعام عامَّة في جميع الأحوال والأوقات: استثنى منها الصَّيد في حال الإحرام؛ فقال: ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾؛ أي: أحلَّت لكم بهيمة الأنعام في كلِّ حال، إلَّا حيث كنتم متَّصفين بأنَّكم غير محلِّي الصيد وأنتم حرم، أي: متجرِّئون على قتله في حال الإحرام وفي الحرم؛ فإنَّ ذلك لا يحلُّ لكم إذا كان صيدا كالظِّباء ونحوه.

و (الصَّيد): هو الحيوان المأكول المتوحِّش.

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾؛ أي: فمهما أراده تعالى حكم به؛ حكما موافقا لحكمته؛

- كما أمركم بالوفاء بالعقود؛ لحصول مصالحكم، ودفع المضارِّ عنكم.
- وأحلَّ لكم بهيمة الأنعام؛ رحمة بكم.
- وحرَّم عليكم ما استثنى منها:
  - من ذوات العوارض، من الميتة ونحوها؛ صونا لكم واحتراما.
  - ومن صيد الإحرام؛ احتراما للإحرام وإعظاما.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾.

۞ يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: محرَّماته الَّتي أمركم بتعظيمها وعدم فعلها.

فالنَّهي [١] يشمل:

- النَّهي عن فعلها.
- والنَّهي عن اعتقاد حلِّها.

فهو يشمل: النَّهي؛ عن فعل القبيح، وعن اعتقاده.

۞ ويدخل في ذلك: النَّهي عن محرَّمات الإحرام ومحرَّمات الحرم.

ويدخل في ذلك: ما نصَّ عليه بقوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: لا تنتهكوه؛ بالقتال فيه، وغيره من أنواع الظُّلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [التَّوْبَة: ٣٦].

والجمهور من العلماء: على أنَّ القتال في الأشهر الحرم منسوخ؛

(١) في (ب): والنَّهي. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

- بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ٥].
- وغير ذلك من العمومات، الَّتي فيها: الأمر بقتال الكفَّار مطلقا، والوعيد في التَّخلُّف عن قتالهم مطلقا.
- وبأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل أهل الطَّائف في ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم.

وقال آخرون: إنَّ النَّهي عن القتال في الأشهر الحرم غير منسوخ؛ لهذه الآية، وغيرها ممَّا فيه النَّهي عن ذلك بخصوصه، وحملوا النُّصوص المطلقة الواردة: على ذلك، وقالوا: المطلق يحمل على المقيَّد.

وفصَّل بعضهم، فقال: لا يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، وأمَّا استدامته وتكميله -إذا كان أوَّله في غيرها- فإنَّه يجوز؛ وحملوا قتال النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الطَّائف على ذلك؛ لأنَّ أوَّل قتالهم في حنين في شوَّال.

وكلُّ هذا: في القتال الَّذي ليس المقصود منه الدَّفع.

فأمَّا قتال الدَّفع؛ إذا ابتدأ الكفَّار المسلمين بالقتال: فإنَّه يجوز للمسلمين القتال؛ دفعا عن أنفسهم، في الشَّهر الحرام وغيره، بإجماع العلماء.

۞ وقوله: ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾؛ أي: ولا تحلُّوا:

شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ ٱلۡهَدۡىَ ﴾ الَّذي يهدى إلى بيت الله في حجٍّ أو عمرة أو غيرهما، من نعم وغيرها، فلا تصدُّوه عن الوصول إلى محلِّه، ولا تأخذوه بسرقة أو غيرها، ولا تقصِّروا به، أو تحمِّلوه ما لا يطيق؛ خوفا من تلفه قبل وصوله إلى محلِّه، بل عظِّموه، وعظِّموا من جاء به.

﴿ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾، هذا نوع خاصٌّ من أنواع الهدي، وهو الهدي الَّذي يفتل له قلائد أو عرى، فيجعل في أعناقه؛ إظهارا لشعائر الله، وحملا للنَّاس على الاقتداء، وتعليما لهم للسُّنَّة، وليعرف أنَّه هدي؛ فيحترم، ولهذا كان تقليد الهدي: من السُّنن والشَّعائر المسنونة.

﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾؛ أي: قاصدين له؛ ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ ﴾؛ أي: من قصد هذا البيت الحرام، وقصده: فضل الله؛ بالتِّجارة والمكاسب المباحة، أو قصده: رضوان الله: بحجِّه وعمرته والطَّواف به والصَّلاة وغيرها من أنواع العبادات؛ فلا تتعرَّضوا له بسوء، ولا تهينوه، بل أكرموه، وعظِّموا الوافدين الزَّائرين لبيت ربِّكم.

ودخل في هذا الأمر: الأمر بتأمين الطُّرق الموصلة إلى بيت الله، وجعل القاصدين له مطمئنِّين مستريحين، غير خائفين؛ على أنفسهم من القتل فما دونه، ولا على أموالهم من المكس والنَّهب ونحو ذلك.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [التَّوْبَة: ٢٨]؛ فالمشرك لا يمكَّن من الدُّخول إلى الحرم.

والتَّخصيص في هذه الآية بالنَّهي عن التَّعرُّض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه: يدلُّ على أنَّ من قصده ليلحد فيه بالمعاصي؛ فإنَّ من تمام احترام الحرم: صدَّ من هذه حاله عن الإفساد ببيت الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ ﴾ [الحَج: ٢٥].

۞ ولمَّا نهاهم عن الصَّيد في حال الإحرام؛ قال: ﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾؛ أي: إذا حللتم من الإحرام بالحجِّ والعمرة وخرجتم من الحرم: حلَّ لكم الاصطياد، وزال ذلك التحريم، والأمر بعد التَّحريم: يردُّ الأشياء إلى ما كانت عليه من قبل.

۞ ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ ﴾؛ أي: لا يحملنَّكم بغض قوم وعداوتهم واعتداؤهم عليكم حيث صدُّوكم عن المسجد: على الاعتداء عليهم طلبا للاشتفاء منهم؛ فإنَّ العبد عليه أن يلتزم أمر الله، ويسلك طريق العدل، ولو جني عليه، أو ظلم، واعتدي عليه، فلا يحلُّ له أن يكذب على من كذب عليه، أو يخون من خانه.

۞ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾؛ أي: ليعن بعضكم بعضا على ﴿ ٱلۡبِرِّ ﴾، وهو: اسم جامع لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأعمال الظَّاهرة والباطنة، من

شبكة الألوكة www.alukah.net

حقوق الله وحقوق الآدميِّين، و ﴿ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ في هذا الموضع: اسم جامع لترك كلِّ ما يكرهه الله ورسوله من الأعمال الظَّاهرة والباطنة.

وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشَّرِّ المأمور بتركها؛ فإنَّ العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها؛ بكلِّ قول يبعث عليها وينشِّط لها، وبكلِّ فعل كذلك.

۞ ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ ﴾ وهو التَّجرُّؤ على المعاصي الَّتي يأثم صاحبها ويحرَّج. ﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ وهو التَّعدِّي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

فكلُّ معصية وظلم؛ يجب على العبد كفُّ نفسه عنه، ثمَّ إعانة غيره على تركه.

۞ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢ ﴾ على من عصاه وتجرَّأ على محارمه؛ فاحذروا المحارم؛ لئلَّا يحلَّ بكم عقابه العاجل والآجل.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ
ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ
عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ
ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ
وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائدة: ٩٤ - ٩٩].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١):

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

هذا من منن الله على عباده، أن أخبرهم بما سيفعل قضاء وقدرا، ليطيعوه، ويقدموا على بصيرة، ويهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيا من حيَّ عن بيِّنة، فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لا بدَّ أن يختبر الله إيمانكم.

۞ ﴿ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ﴾، أي: بشيء غير كثير، فتكون محنة يسيرة؛ تخفيفا منه تعالى ولطفا.

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص٢٤٦.

ط٢. دار السلام: ص٢٧٠.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ وذلك الصَّيد الذي يبتليكم الله به ﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ ﴾؛ أي: تتمكَّنون من صيده، ليتمَّ بذلك الابتلاء، لا غير مقدور عليه بيد ولا رمح فلا يبقى للابتلاء فائدة.

۞ ثمَّ ذكر الحكمة في ذلك الابتلاء؛ فقال: ﴿ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ﴾ علما ظاهرا للخلق يترتَّب عليه الثَّواب والعقاب، ﴿ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾، فيكفُّ عمَّا نهى الله عنه مع قدرته عليه وتمكُّنه، فيثيبه الثَّواب الجزيل، ممَّن لا يخافه بالغيب، فلا يرتدع عن معصية تعرض له فيصطاد ما تمكَّن منه.

۞ ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ ﴾ منكم ﴿ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ البيان الَّذي قطع الحجج وأوضح السبيل؛ ﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، أي: مؤلم موجع، لا يقدر على وصفه إلَّا الله؛ لأنَّه لا عذر لذلك المعتدي.

والاعتبار: بمن يخافه بالغيب وعدم حضور النَّاس عنده، وأمَّا إظهار مخافة الله عند النَّاس: فقد يكون ذلك لأجل مخافة النَّاس، فلا يثاب على ذلك.

***

۞ ثمَّ صرح بالنهي عن قتل الصيد في حال الإحرام، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۚ ﴾، أي: محرمون في الحجِّ والعمرة.

والنَّهي عن قتله يشمل: النَّهي عن مقدِّمات القتل، وعن المشاركة في القتل، والدِّلالة عليه، والإعانة على قتله، حتَّى إنَّ من تمام ذلك: أنَّه ينهى المحرم عن

شبكة الألوكة www.alukah.net

أكل ما قتل أو صيد لأجله؛ وهذا كلُّه تعظيم لهذا النُّسك العظيم؛ أنَّه يحرم على المحرم قتل وصيد ما كان حلالا له قبل الإحرام.

۞ وقوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾، أي: قتل صيدا عمدا ﴿فَـ﴾ عليه ﴿جَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾، أي: الإبل، أو البقر، أو الغنم، فينظر ما يشبه شيئا من ذلك، فيجب عليه مثله، يذبحه ويتصدَّق به.

والاعتبار: بالمماثلة.

۞ ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، أي: عدلان يعرفان: الحكم ووجه الشبه؛ كما فعل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حيث قضوا بالحمامة: شاة، وفي النعامة: بدنة، وفي بقر الوحش -على اختلاف أنواعه-: بقرة.

✓ وهكذا كلُّ ما يشبه شيئا من النَّعم: ففيه مثله.

✓ فإن لم يشبه شيئا: ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المتلفات.

۞ وذلك الهدي لا بدَّ أن يكون: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾؛ أي: يذبح في الحرم.

۞ ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾؛ أي: كفارة ذلك الجزاء: طعام مساكين، أي: يجعل مقابلة المثل من النَّعم: طعام يطعم المساكين، قال كثير من العلماء: يقوَّم الجزاء، فيشترى بقيمته طعام، فيطعم كلُّ مسكين: مدَّ برٍّ، أو نصف صاع من غيره.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾ الطَّعام ﴿صِيَامًا﴾؛ أي: يصوم عن إطعام كلِّ مسكين: يوما.

۞ ﴿لِّيَذُوقَ﴾ بإيجاب الجزاء المذكور عليه ﴿وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾.

۞ ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد ذلك ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

وإنَّما نصَّ الله على المتعمِّد لقتل الصَّيد -مع أنَّ الجزاء يلزم المتعمِّد والمخطئ، كما هو القاعدة الشرعية أنَّ المتلف للنُّفوس والأموال المحترمة: فإنَّه يضمنها على أيِّ حال كان؛ إذا كان إتلافه بغير حقٍّ-؛ لأنَّ الله رتَّب عليه: الجزاء، والعقوبة، والانتقام، وهذا للمتعمد، وأمَّا المخطئ: فليس عليه عقوبة، إنَّما عليه الجزاء.

(هذا قول جمهور العلماء.

والصَّحيح: ما صرَّحت به الآية؛ أنَّه لا جزاء على غير المتعمِّد؛ كما لا إثم عليه) (١).

---

(١) ما بين القوسين من هامش (أ)، وفي هامش (ب): هذا جواب الجمهور من هذا القيد الَّذي ذكره الله، وطائفة من أهل العلم يرون: تخصيص الجزاء بالمتعمِّد، وهو ظاهر الآية، والفرق بين هذا، وبين التَّضمين في الخطأ في النُّفوس والأموال؛ في هذا الموضع: الحقُّ فيه لله، فكما لا إثم: لا جزاء بإتلافه نفوس الآدميين وأموالهم.

اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

***

۞ ولمَّا كان (الصَّيد) يشمل: الصَّيد البرِّيَّ والبحريَّ؛ استثنى تعالى الصَّيد البحريَّ، فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾؛ أي: أحلَّ لكم -في حال إحرامكم-:

* ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾، وهو الحيُّ من حيواناته.

* ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾، وهو الميِّت منها، فدلَّ ذلك على حلِّ ميتة البحر.

۞ ﴿مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، أي: الفائدة في إباحته لكم: أنَّه لأجل انتفاعكم وانتفاع رفقتكم الَّذين يسيرون معكم.

۞ ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾، ويؤخذ من لفظ (الصَّيد) أنَّه لا بدَّ أن يكون:

١) وحشيًّا؛ لأنَّ الإنسيَّ ليس بصيد.

٢) ومأكولا؛ فإنَّ غير المأكول لا يصاد، ولا يطلق عليه اسم: (الصَّيد).

۞ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، أي: اتَّقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، واستعينوا على تقواه: بعلمكم أنَّكم إليه تحشرون، فيجازيكم: هل قمتم بتقواه؛ فيثيبكم الثَّواب الجزيل، أم لم تقوموا بها؛ فيعاقبكم.

***

شبكة الألوكة
www.alukah.net

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩ ﴾.

۞ يخبر تعالى أنَّه جعل ﴿ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ ﴾؛ يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم ودنياهم، فبذلك يتمُّ إسلامهم، وبه تحطُّ أوزارهم، وتحصل لهم بقصده العطايا الجزيلة والإحسان الكثير، وبسببه تنفق الأموال، وتقتحم[١] من أجله الأهوال، ويجتمع فيه من كلِّ فجٍّ عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون، ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامَّة، وتنعقد بينهم الرَّوابط في مصالحهم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، قال تعالى: ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ ﴾ [الحج: ٢٨].

ومن أجل كون البيت ﴿ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ ﴾؛ قال من قال من العلماء: إنَّ حجَّ بيت الله فرض كفاية في كلِّ سنة، فلو ترك النَّاس حجَّه؛ لأثم كلُّ قادر، بل لو ترك النَّاس حجَّه؛ لزال ما به قوامهم وقامت القيامة.

۞ وقوله: ﴿ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾، أي: وكذلك جعل الهدي والقلائد -الَّتي هي أشرف أنواع الهدي-: ﴿ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ ﴾؛ ينتفعون بهما ويثابون عليهما.

(١) في (ب): وتتقحَّم. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾؛ فمن علمه: أن جعل لكم هذا البيت الحرام؛ لما يعلمه من مصالحكم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة.

***

۞ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾؛ أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنَّه شديد العقاب العاجل والآجل؛ على من عصاه، وأنَّه غفور رحيم؛ لمن تاب إليه وأطاعه، فيثمر لكم هذا العلم: الخوف من عقابه، والرجاء لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء.

***

۞ ثم قال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾؛ وقد بلَّغ كما أُمِر، وقام بوظيفته، وما سوى ذلك: فليس له من الأمر شيء.

۞ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾؛ فيجازيكم بما يعلمه تعالى منكم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾
لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ
رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ
خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٥].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

يأمر تعالى نبيَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول ويعلن: بما هو عليه من الهداية إلى الصِّراط المستقيم؛ الدِّين: المعتدل، المتضمِّن للعقائد النَّافعة والأعمال الصَّالحة، والأمر بكلِّ حسن والنَّهي عن كلِّ قبيح، الَّذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرَّحمن؛ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو الدِّين الحنيف؛ المائل عن كلِّ دين غير مستقيم من أديان أهل الانحراف، كاليهود والنَّصارى والمشركين.

وهذا عموم.

***

۞ ثمَّ خصَّص من ذلك أشرف العبادات؛ فقال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾؛ أي: ذبحي؛ وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على: محبَّة الله تعالى، وإخلاص الدِّين له، والتَّقرُّب إليه بالقلب واللِّسان والجوارح، وبالذَّبح الَّذي هو بذل ما تحبُّه النَّفس من المال لما هو أحبُّ إليها؛ وهو الله تعالى.

ومن أخلص في صلاته ونسكه؛ استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله.

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص٥٢٨.

ط٢. دار السلام: ص٣١٦.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله: ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِي﴾؛ أي: ما آتيه في حياتي، وما يجريه الله عليَّ، وما يقدَّر عليَّ في مماتي.

الجميع: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في العبادة؛ كما أنَّه ليس له شريك في الملك والتَّدبير.

۞ وليس هذا الإخلاص لله ابتداعا منِّي، وبدعا أتيته من تلقاء نفسي، بل ﴿بِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ أمرا حتما، لا أخرج من التَّبعة إلَّا بامتثاله؛ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ من هذه الأمَّة.

***

۞ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ من المخلوقين ﴿أَبْغِى رَبًّا﴾؛ أي: يحسن ذلك ويليق بي أن أتَّخذ غيره: مربِّيا ومدبِّرا؛ ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ فالخلق كلُّهم داخلون تحت ربوبيَّته، منقادون لأمره؟!، فتعيَّن عليَّ وعلى غيري: أن يتَّخذ الله ربًّا، ويرضى به، وألَّا يتعلَّق بأحد من المربوبين الفقراء العاجزين.

۞ ثمَّ رغَّب ورهَّب بذكر (١) الجزاء؛ فقال:

- ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير وشرٍّ ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾؛ كما قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فُصِّلَت: ٤٦].

(١) في (ب): بذلك. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

- ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾، بل كلٌّ عليه وزر نفسه، وإن كان أحد قد تسبَّب في ضلال غيره ووزره؛ فإنَّ عليه وزر التَّسبُّب من غير أن ينقص من وزر المباشر شيء.

- ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ ﴾ يوم القيامة؛ ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٤ ﴾ من خير وشر، ويجازيكم على ذلك أوفى الجزاء.

***

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: يخلف بعضكم بعضا، واستخلفكم الله في الأرض، وسخَّر لكم جميع ما فيها، وابتلاكم؛ لينظر كيف تعملون.

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ في القوَّة والعافية والرِّزق والخلق والخلق؛ ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾؛ فتفاوتت أعمالكم.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن عصاه وكذَّب بآياته، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ١٦٥ ﴾ لمن آمن به وعمل صالحا وتاب من الموبقات.

***

شبكة الألوكة
www.alukah.net

آخر تفسير سورة الأنعام، فلله الحمد والثَّناء، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، [وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليما كثيرا إلى يوم الدِّين] (١).

(١) زيادة من (ب)، وقد جاء بعدها قول الناسخ: (وكان الفراغ من كتابته في يوم الجمعة الموافق لخمسة وعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥ هـ، بقلم الفقير إلى ربِّه المنَّان: علي الحسن العلي الحسن البريكان، وقد نسخته على نسخة المؤلف، غفر الله له، وأثابه على ذلك الثواب الجزيل، وجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين أفضل الجزاء في دار الجزاء، وأدخله الله برحمته فسيح الجنان، ووقانا وإياه عذاب النيران بفضله وكرمه، إنه قريب مجيب، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين ثم آمين يا رب العالمين). اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ
لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ
أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ
وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ
يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ
مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾
ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ
حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ
فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ
بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ
فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾
لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا
مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ
عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم
مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ
جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تَشۡكُرُونَ ٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ
كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧ ﴾ [الحج:
٢٥ - ٣٧].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربِّهم، وأنَّهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصَّدِّ عن سبيل الله ومنع النَّاس من الإيمان، والصَّدِّ أيضا عن المسجد الحرام، الَّذي ليس ملكا لهم ولا لآبائهم، بل النَّاس فيه سواء، المقيم فيه، والطَّارئ إليه، بل صدُّوا عنه أفضل الخلق محمَّدا وأصحابه.

والحال أن هذا المسجد الحرام من حرمته واحترامه وعظمته: أنَّ ﴿مَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾؛ فمجرَّد الإرادة للظُّلم(٢) والإلحاد في الحرم: موجب للعذاب -وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلَّا بعمل الظُّلم-، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظُّلم، من الكفر والشِّرك، والصَّدِّ عن سبيله، ومنع من يريده بزيارة، فما ظنُّهم أن يفعل الله بهم؟.

وفي هذه الآية الكريمة:

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص١٠٩٦.

ط٢. دار السلام: ص٦٢٦.

(٢) في (ب): إرادة الظُّلم. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

- وجوب احترام الحرم.
- وشدَّة تعظيمه.
- والتَّحذير من: إرادة المعاصي فيه، وفعلها.

***

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

۞ يذكر تعالى: عظمة البيت الحرام، وجلالته، وعظمة بانيه وهو خليل الرَّحمن؛ فقال: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾، أي: هيَّأناه له، وأنزلناه إيَّاه، وجعل قسما من ذريَّته من سكَّانه، وأمره الله ببنيانه، فبناه على تقوى الله، وأسَّسه على طاعة الله، وبناه هو وابنه إسماعيل.

۞ وأمره: أن لا يشرك به شيئا؛ بأن يخلص لله أعماله، ويبنيه على اسم الله.

۞ ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾؛ أي: من الشِّرك والمعاصي، ومن الأنجاس والأدناس، وأضافه الرَّحمن إلى نفسه؛ لشرفه وفضله، ولتعظم محبَّته في القلوب، وتنصب إليه الأفئدة من كلِّ جانب، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه لكونه بيت الرَّبِّ:

شبكة الألوكة www.alukah.net

- ✓ ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ به.
- ✓ والعاكفين عنده، المقيمين لعبادة من العبادات؛ من ذكر وقراءة وتعلُّم علم وتعليمه وغير ذلك من أنواع القرب.
- ✓ ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾؛ أي: المصلِّين.

أي: طهِّره لهؤلاء الفضلاء، الَّذين همُّهم طاعة مولاهم وخدمته والتَّقرُّب إليه عند بيته، فهؤلاء لهم الحقُّ، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم: تطهير البيت لأجلهم.

ويدخل في تطهيره: تطهيره من الأصوات اللَّاغية والمرتفعة الَّتي تشوش المتعبِّدين بالصلاة والطَّواف.

وقدَّم (الطَّواف) على (الاعتكاف) و (الصَّلاة)؛ لاختصاصه بهذا البيت، ثمَّ (الاعتكاف)؛ لاختصاصه بجنس المساجد.

***

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾؛ أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبلِّغ دانيهم وقاصيهم: فرضه وفضيلته؛ فإنَّك إذا دعوتهم، أتوك حجَّاجا وعمَّارا، ﴿ رِجَالًا ﴾؛ أي: مشاة على أرجلهم من الشَّوق، ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾؛ أي: ناقة ضامر، تقطع المهامه والمفاوز، وتواصل السَّير، حتَّى تأتي إلى أشرف الأماكن، ﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾؛ أي: من كلِّ بلد بعيد.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد فعل الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ثمَّ من بعده ابنه محمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فدعيا النَّاس إلى حجِّ هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه النَّاس رجالا وركبانا، من مشارق الأرض ومغاربها.

***

۞ ثمَّ ذكر فوائد زيارة بيت الله الحرام، مرغِّبا فيه؛ فقال: ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾؛ أي: لينالوا ببيت الله:

- ✓ منافع دينيَّة، من: العبادات الفاضلة، والعبادات الَّتي لا تكون إلَّا فيه.
- ✓ ومنافع دنيويَّة، من: التَّكسُّب، وحصول الأرباح الدنيويَّة

وكلُّ هذا أمر مشاهد كلٌّ يعرفه.

۞ ﴿ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ ﴾، وهذا من المنافع الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، أي: ليذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا؛ شكرا لله على: ما رزقهم منها، ويسَّرها لهم.

۞ فإذا ذبحتموها: ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾؛ أي: شديد الفقر.

***

شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾؛ أي: يقضوا نسكهم، ويزيلوا الوسخ والأذى الَّذي لحقهم في حال الإحرام.

﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ الَّتي أوجبوها على أنفسهم؛ من الحجِّ والعمرة والهدايا.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾؛ أي: القديم، أفضل المساجد على الإطلاق، المعتق من تسلُّط الجبابرة عليه.

وهذا أمر بالطَّواف خصوصا -بعد الأمر بالمناسك عموما-؛

* لفضله وشرفه.

* ولكونه المقصود، وما قبله وسائل إليه.

* ولعلَّه -والله أعلم- أيضا لفائدة أخرى؛ وهو: أنَّ الطَّواف مشروع كلَّ وقت، وسواء كان تابعا لنسك أم مستقلًّا بنفسه.

***

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

﴿ ذَٰلِكَۖ ﴾ أي [١]: ذكرنا لكم من تلكم الأحكام، وما فيها من تعظيم حرمات الله وإجلالها وتكريمها؛ لأنَّ تعظيم حرمات الله: من الأمور المحبوبة لله، المقرِّبة إليه، الَّتي من عظَّمها وأجلَّها أثابه الله ثوابا جزيلا، وكانت خيرا له في دينه ودنياه وأخراه عند ربِّه.

وحرمات الله: كل ماله حرمة، وأمر باحترامه؛ من عبادة [٢] أو غيرها، كالمناسك كلِّها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات الَّتي أمر الله العباد بالقيام بها.

فتعظيمها: إجلالها بالقلب، ومحبَّتها، وتكميل العبوديَّة فيها، غير متهاون ولا متكاسل ولا متثاقل.

۞ ثمَّ ذكر منَّته وإحسانه بما أحلَّه لعباده من بهيمة الأنعام؛ من إبل وبقر وغنم، وشرعها من جملة المناسك الَّتي يتقرَّب بها إليه، فعظمت منَّته فيها من الوجهين، ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ ﴾ في القرآن تحريمه؛ من قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [المَائِدَة: ٣] الآية.

۞ ولكن الَّذي من رحمته بعباده أن حرَّمه عليهم ومنعهم منه؛ تزكية لهم وتطهيرا من الشِّرك به وقول الزُّور [٣]، ولهذا قال: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ ﴾؛ أي:

---

(١) كذا في (أ)، وفي (ب): الَّذي. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

(٢) في (ب): بعبادة. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

(٣) في (ب): وتطهيرا الشرك به وقوله الزور. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الخبث القذر ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾؛ أي: الأنداد الَّتي جعلتموها آلهة مع الله؛ فإنَّها أكبر أنواع الرِّجس.

والظَّاهر أنَّ ﴿مِن﴾ هنا: ليست لبيان الجنس كما قاله كثير من المفسِّرين، وإنَّما هي: للتَّبعيض، وأنَّ ﴿ٱلرِّجۡسَ﴾: عامٌّ في جميع المنهيَّات المحرَّمات، فيكون منهيًّا عنها عموما، وعن الأوثان الَّتي هي بعضها خصوصا.

۞ ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾؛ أي: جميع الأقوال المحرَّمات؛ فإنَّها من (قول الزُّور) الَّذي هو: الكذب، ومن ذلك: شهادة الزُّور.

***

فلمَّا نهاهم: عن الشِّرك والرِّجس وقول الزُّور؛ أمرهم: أن يكونوا ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾؛ أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عمَّا سواه، ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ﴾.

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ فمثله: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: سقط منها، ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ بسرعة، ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾؛ أي: بعيد؛ كذلك المشركون[1]:

- فالإيمان: بمنزلة السَّماء، محفوظة مرفوعة.

---

(١) في (ب): المشرك. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

- ومن ترك الإيمان: بمنزلة السَّاقط من السَّماء، عرضة للآفات والبليَّات؛ فإمَّا أن تخطفه الطَّير فتقطعه أعضاء.

كذلك المشرك: إذا ترك الاعتصام بالإيمان؛ تخطَّفته الشَّياطين من كلِّ جانب، ومزَّقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه.

***

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾.

أي: ذلك الَّذي ذكرنا لكم: من تعظيم حرماته وشعائره.

والمراد بـ(الشَّعائر): أعلام الدِّين الظَّاهرة.

- ومنها المناسك كلُّها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٥٨].

- ومنها الهدايا والقربان للبيت.

وتقدَّم أنَّ معنى (تعظيمها): إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد.

- ومنها الهدايا، فتعظيمها: باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكمَّلة من كلِّ وجه.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فتعظيم شعائر الله صادر ﴿ مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾، فالمعظِّم لها: يبرهن على تقواه وصحَّة إيمانه؛ لأنَّ تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله.

***

﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾؛ أي: في الهدايا ﴿ مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾؛ هذا في الهدايا المسوقة، من البدن ونحوها، ينتفع بها أربابها -بالرُّكوب، والحلب ونحو ذلك ممَّا لا يضرُّها-، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ مقدَّر موقَّت؛ وهو ذبحها إذا وصلت محلَّها، وهو البيت العتيق، أي: الحرم كلُّه، منى وغيرها؛ فإذا ذبحت: أكلوا منها، وأهدوا، وأطعموا البائس الفقير.

***

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

۞ أي: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم السَّالفة ﴿ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾؛ أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيُّكم أحسن عملا.

والحكمة في جعل الله لكلِّ أمة منسكا: لإقامة ذكره، والالتفات لشكره؛ ولهذا قال: ﴿ لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ ﴾.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

۞ ﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ وإن اختلفت أجناس الشَّرائع، فكلُّها متَّفقة على هذا الأصل، وهو ألوهيَّة الله، وإفراده بالعبوديَّة، وترك الشِّرك به؛ ولهذا قال: ﴿ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ ﴾؛ أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره؛ فإنَّ الإسلام له: طريق إلى الوصول إلى دار السَّلام.

۞ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربِّه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده.

***

ثمَّ ذكر صفات المخبتين؛ فقال:

* ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾؛ أي: خوفا وتعظيما، فتركوا لذلك المحرَّمات؛ لخوفهم ووجلهم من الله وحده.

* ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ ﴾ من البأساء والضَّراء وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التَّسخُّط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربِّهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره.

* ﴿ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ ﴾؛ أي: الَّذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة؛ بأن أدَّوا: اللَّازم فيها والمستحبَّ، وعبوديَّتها الظاهرة والباطنة.

* ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾، وهذا يشمل: جميع؛

شبكة الألوكة www.alukah.net

- النَّفقات الواجبة؛ كالزَّكاة، والكفَّارة، والنَّفقة على الزَّوجات والمماليك والأقارب.
- والنَّفقات المستحبَّة؛ كالصَّدقات بجميع وجوهها.

وأتي بـ ﴿ مِن ﴾ المفيدة للتَّبعيض؛ ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغَّب فيه، وأنَّه جزء يسير ممَّا رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إيَّاه، فيا أيَّها المرزوق من فضل الله، أنفق ممَّا رزقك الله، ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.

***

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

هذا دليل على أنَّ (الشَّعائر) عامٌّ في جميع أعلام الدِّين الظَّاهرة .

وتقدَّم أنَّ الله أخبر: أنَّ من عظَّم شعائره؛ فإنَّ ذلك من تقوى القلوب.

وهنا أخبر أنَّ من جملة شعائره: ﴿ ٱلْبُدْنَ ﴾، أي: الإبل، والبقر -على أحد القولين-؛ فتعظَّم وتستسمن وتستحسن.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ ﴿ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ ﴾؛ أي: المهدي وغيره، من الأكل والصَّدقة والانتفاع والثَّواب والأجر.

۞ ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ﴾؛ أي: عند ذبحها قولوا: (بسم الله).

۞ واذبحوها ﴿ صَوَآفَّۖ ﴾؛ أي: قائمات؛ بأن تقام على قوائمها الأربع، ثمَّ تعقل يدها اليسرى، ثمَّ تنحر.

۞ ﴿ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا ﴾؛ أي: سقطت في الأرض جنوبها؛ حين تسلخ، ثمَّ يسقط الجزَّار جنوبها على الأرض، فحينئذ: قد استعدَّت لأن يؤكل منها، ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا ﴾، وهذا خطاب للمهدي، فيجوز له الأكل من هديه، ﴿ وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ ﴾؛ أي: الفقير الَّذي لا يسأل -تقنُّعا وتعفُّفا-، والفقير الَّذي يسأل؛ فكلٌّ منهما له حقٌّ فيهما.

۞ ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ ﴾؛ أي: البدن ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ الله على تسخيرها؛ فإنَّه لولا تسخيره لها؛ لم يكن لكم بها طاقة، ولكنَّه ذلَّلها لكم وسخَّرها؛ رحمة بكم وإحسانا إليكم، فاحمدوه.

***

۞ وقوله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾؛ أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط، ولا ينال الله من لحومها ولا دمائها شيء؛ لكونه الغنيَّ الحميد.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ وإنَّما ﴿ يَنَالُهُ ﴾: الإخلاص فيها، والاحتساب، والنِّيَّة الصَّالحة؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ ﴾، ففي هذا حثٌّ وترغيب على الإخلاص في النَّحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخرا ولا رياء، ولا سمعة، ولا مجرَّد عادة.

وهكذا سائر العبادات: إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله؛ كانت كالقشور الَّذي لا لبَّ فيه، والجسد الَّذي لا روح فيه.

۞ ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: تعظِّموه وتجلُّوه؛ ﴿ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ ﴾؛ أي: مقابلة لهدايته إيَّاكم؛ فإنَّه يستحقُّ أكمل الثَّناء وأجلَّ الحمد وأعلى التعظيم.

۞ ﴿ وَبَشِّرِ ﴾:

- ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ بعبادة الله؛ بأن يعبدوا الله كأنَّهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدَّرجة فليعبدوه معتقدين وقت عبادتهم اطِّلاعه عليهم ورؤيته إياهم.
- و ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ لعباد الله؛ بجميع وجوه الإحسان من نفع مال، أو علم، أو جاه، أو نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو كلمة طيبة، ونحو ذلك.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالمحسنون: لهم البشارة من الله بسعادة الدُّنيا والآخرة، وسيحسن الله إليهم؛ كما أحسنوا: في عبادته، ولعباده.

﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرَّحۡمَٰن: ٦٠].

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يُونُس: ٢٦].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الله تعالى:

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا
هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ
أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ
ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ
أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٥ - ٦٩].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١):

ألزم تعالى المشركين -بإخلاصهم لله تعالى في حال (٢) الشِّدَّة، عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه وخوفهم الهلاك؛ يتركون إذا أندادهم ويخلصون الدُّعاء لله وحده لا شريك له، فلما زالت عنهم الشِّدَّة ونجَّاهم من أخلصوا له الدَّعاء إلى البرِّ؛ أشركوا به من لا نجَّاهم من شدَّة ولا أزال (٣) عنهم مشقَّة-؛ فهلَّا أخلصوا لله الدُّعاء في حال الرَّخاء والشِّدَّة، واليسر والعسر؛ ليكونوا مؤمنين به حقًّا، مستحقِّين ثوابه، مندفعا عنهم عقابه.

***

ولكنَّ شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم بالنَّجاة من البحر؛ ليكون عاقبته: كفر ما آتيناهم، ومقابلة النِّعمة بالإساءة، وليكملوا تمتُّعهم في الدُّنيا، الَّذي هو كتمتُّع الأنعام، ليس لهم همٌّ إلَّا بطونهم وفروجهم.

۞ ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ حين ينتقلون من الدُّنيا إلى الآخرة: شدَّة الأسف وأليم العقوبة.

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص١٣٢٤.

ط٢. دار السلام: ص٧٤٦.

(٢) في (ب): حالة. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

(٣) في (ب): زال. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي..

شبكة الألوكة www.alukah.net

***

ثم امتنَّ عليهم بحرمه الآمن، وأنَّهم أهله في أمن وسعة ورزق، والنَّاس من حولهم يتخطَّفون ويخافون، أفلا يعبدون الَّذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

۞ ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾، وهو ما هم عليه من الشِّرك والأقوال والأفعال الباطلة، ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ هم ﴿يَكْفُرُونَ﴾؟!، فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم، حيث آثروا الضَّلال على الهدى، والباطل على الحقِّ، والشَّقاء على السَّعادة، وحيث كانوا أظلم الخلق.

***

۞ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فنسب ما هو عليه من الضَّلال والباطل إلى الله، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ على يد رسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ ولكن هذا الظَّالم العنيد: أمامه جهنم، ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ يؤخذ بها منهم الحقُّ، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدَّائم الَّذي[1] لا يخرجون منه؟.

---

(١) في (ب): الَّذين. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي..

شبكة الألوكة
www.alukah.net

***

۞ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ وهم الَّذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتِّباع مرضاته، ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾؛ أي: الطُّرق الموصلة إلينا؛ وذلك لأنَّهم محسنون.

۞ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بالعون والنَّصر والهداية.

دلَّ هذا:

- على أنَّ أحرى النَّاس بموافقة الصَّواب: أهل الجهاد.
- وعلى أنَّ من أحسن فيما أمر به؛ أعانه الله ويسَّر له أسباب الهداية.
- وعلى أنَّ من جدَّ واجتهد في طلب العلم الشَّرعيِّ؛ فإنَّه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهيَّة خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسَّر له أمر العلم؛ فإنَّ طلب العلم الشرعيِّ من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الَّذي لا يقوم به إلا خواصُّ الخلق، وهو: الجهاد بالقول واللِّسان للكفَّار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدِّين، وعلى ردِّ نزاع المخالفين للحقِّ ولو كانوا من المسلمين.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ الصَّافَّاتِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠
فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ
ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ
خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ
كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ
أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن
شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤
قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦
وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ
نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ
مُبِينٞ ١١٣ ﴾ [الصَّافَّات: ٨٣ - ١١٣].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾، إلى آخر القصَّة.

أي: وإنَّ من شيعة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن هو على طريقته؛ في النُّبوَّة والرِّسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدُّعاء: إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

***

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ من: الشِّرك والشُّبه والشَّهوات، المانعة من تصوُّر الحقِّ والعمل به، وإذا كان قلب العبد سليما؛ سلم من كلِّ شرٍّ، وحصل له كلُّ خير.

***

ومن سلامته: أنَّه سليم من غشِّ الخلق، وحسدهم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق؛ ولهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه وقومه؛ فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾، هذا استفهام على وجه (٢) الإنكار، وإلزام لهم بالحجَّة.

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص١٤٧٣.

ط٢. دار السلام: ص٨٢٩.

(٢) في (ب): بمعنى. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

***

﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾؛ أي: أتعبدون من دون آلهة [١] كذبا؛ ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة؟.

***

﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾:

- أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟، وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.
- وما الَّذي ظننتم بربِّ العالمين من النَّقص حتَّى جعلتم له أندادا وشركاء؟.

***

فأراد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يكسر أصنامهم ويتمكَّن من ذلك، فانتهز الفرصة في حين غفلة منهم لمَّا ذهبوا إلى عيد من أعيادهم، فخرج معهم، ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾؛ في الحديث الصحيح: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ؛ قَوْلُهُ:** ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾، **وَقَوْلُهُ:** ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، **وَقَوْلُهُ عَنْ زَوْجَتِهِ: (إِنَّهَا أُخْتِي)**».

---

(١) كذا في (أ)، وفي (ب): أي تعبدونه آلهة كذبا. ولعل الصواب:من دونه، أو: من دون الله. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والقصد: أنَّه تخلَّف عنهم؛ ليتمَّ له الكيد بآلهتهم؛ ولهذا ﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

***

فلما وجد الفرصة؛ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾؛ أي: أسرع إليها على وجه الخفية والمراوغة، ﴿فَقَالَ﴾ متهكِّما بها: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾؛ أي: فكيف يليق أن تعبد وهي أنقص من الحيوانات الَّتي تأكل و[1] تكلَّم؟، فهذه جماد لا تأكل ولا تكلَّم!.

***

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾؛ أي: جعل يضربها بقوَّته ونشاطه، حتَّى جعلها ﴿جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

***

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾؛ أي: يسرعون ويهرعون، أي: يريدون أن يوقعوا به بعدما بحثوا و ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنبياء: ٥٩]، وقيل لهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠]، يقول: ﴿تَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: ٥٧]، فوبَّخوه ولاموه، فـ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ

(١) في (ب): أو. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣ - ٦٦]، الآية.

***

و ﴿قَالَ﴾ هنا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾؛ أي: تنحتونه بأيديكم وتصنعونه، فكيف تعبدونهم وأنتم الَّذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص لله الَّذي ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾؟!.

***

﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾؛ أي: عاليا مرتفعا، وأوقدوا فيه النَّار ﴿فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾؛ جزاء على ما فعل من تكسير آلهتهم.

***

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ ليقتلوه أشنع قتلة؛ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾؛ ردَّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل النَّار على إبراهيم بردا وسلاما.

***

﴿وَ﴾ لمَّا فعلوا فيه هذا الفعل، وأقام عليهم الحجَّة، وأعذر منهم؛ ﴿قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾؛ أي: مهاجر إليه، قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشَّام؛

شبكة الألوكة
www.alukah.net

﴿ سَيَهۡدِينِ ٩٩ ﴾ يدلُّني على(١) ما فيه الخير لي، من أمر ديني ودنياي، وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ ﴾ [مَرۡيَم: ٤٨].

***

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي ﴾ ولدا يكون ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ ﴾؛ وذلك عندما أيس من قومه، ولم ير فيهم خيرا؛ دعا الله أن يهب له غلاما صالحا، ينفع الله به في حياته وبعد مماته.

***

فاستجاب الله له، وقال: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ ﴾، وهذا إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بلا شكٍّ؛ فإنَّه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأنَّ الله تعالى قال في بشراه بإسحاق: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾ [هُود: ٧١]، فدلَّ على أنَّ إسحاق غير الذبيح.

ووصف الله إسماعيل، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بـ (الحلم)، وهو يتضمَّن: الصَّبر، وحسن الخلق، وسعة الصَّدر، والعفو عمَّن جنى.

***

(١) في (ب): إلى. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ ﴾ الغلام ﴿ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ ﴾؛ أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنًّا يكون في الغالب أحبَّ ما يكون لوالديه؛ قد ذهبت مشقَّته، وأقبلت منفعته، فـ ﴿ قَالَ ﴾ له إبراهيم عَلَيۡهِ‌ٱلسَّلَامُ: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾؛ أي: قد رأيت في النَّوم والرُّؤيا أنَّ الله يأمرني بذبحك، ورؤيا [١] الأنبياء وحي؛ ﴿ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ فإنَّ أمر الله تعالى لا بدَّ من تنفيذه، ﴿ قَالَ ﴾ إسماعيل -صابرا محتسبا، مرضيا لربِّه، وبارًّا بوالده-: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾؛ أي: امض لما أمرك الله؛ ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾؛ أخبر أباه: أنَّه موطِّن نفسه على الصَّبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى؛ لأنَّه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى.

***

﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا ﴾؛ أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازما بقتل ابنه وثمرة فؤاده؛ امتثالا لأمر ربِّه، وخوفا من عقابه، والابن قد وطَّن نفسه على الصَّبر، وهانت عليه في طاعة ربِّه ورضا والده، ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ ﴾؛ أي: تلَّ إبراهيم إسماعيل على جبينه؛ ليضجعه، فيذبحه، وقد انكبَّ لوجهه؛ لئلَّا ينظر وقت الذَّبح إلى وجهه.

***

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ ﴾ في تلك الحال المزعجة والأمر المدهش: ﴿ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾؛ أي: قد فعلت ما أمرت به؛ فإنَّك وطَّنت نفسك على ذلك،

---

(١) في (ب): ورأي. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفعلت كلَّ سبب، ولم يبق إلَّا إمرار السِّكِّين على حلقه، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ في عبادتنا، المقدِّمين رضانا على شهوات أنفسهم.

***

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذي امتحنَّا به إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: ﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾؛ أي: الواضح، الَّذي تبيَّن به صفاء إبراهيم، وكمال محبَّته لربِّه وخلَّته؛ فإنَّ إسماعيل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لمَّا وهبه الله لإبراهيم أحبَّه حبًّا شديدا، وهو خليل الرَّحمن، والخلَّة: أعلى أنواع المحبَّة، وهو منصب لا يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلِّقة بالمحبوب؛ فلمَّا تعلَّقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل: أراد تعالى أن يصفِّي ودَّه، ويختبر خلَّته، فأمره أن يذبح من زاحم حبُّه حبَّ ربِّه، فلمَّا قدَّم حبَّ الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم: بقي الذَّبح لا فائدة فيه؛ فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾.

***

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾؛ أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيما:

- من جهة أنَّه كان فداء لإسماعيل.
- ومن جهة أنَّه من جملة العبادات الجليلة.
- ومن جهة أنَّه كان قربانا وسنَّة إلى يوم القيامة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

***

﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ ﴾؛ أي: وأبقينا عليه ثناء صادقا في الآخرين، كما كان في الأولين، فكلُّ وقت بعد إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فإنَّه فيه محبوب معظَّم مثنى عليه.

***

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ ﴾؛ أي: تحيَّته عليه، كقوله: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ﴾ [النَّمل: ٥٩].

***

إنَّا ﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ ﴾ في عبادة الله، ومعاملة خلقه؛ أن نفرِّج عنهم الشَّدائد، ونجعل لهم العاقبة والثَّناء الحسن.

***

﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ ﴾ بما أمر الله بالإيمان به، الَّذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ [الأنعام: ٧٥].

***

شبكة الألوكة
www.alukah.net

﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١١٢﴾ هذه البشارة الثَّانية بإسحاق، الَّذي من ورائه يعقوب؛ فبشِّر بوجوده وبقائه، ووجود ذرِّيَّته، وكونه نبيًّا من الصَّالحين، فهي بشارات متعددة.

***

﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ﴾؛ أي: أنزلنا عليهما البركة، الَّتي هي النُّموُّ والزِّيادة في علمهما وعملهما وذرِّيَّتهما؛ فنشر الله من ذرِّيَّتهما ثلاث أمم عظيمة:

- أمَّة العرب: من ذرِّيَّة إسماعيل.
- وأمَّة بني إسرائيل، وأمَّة الرُّوم: من ذرِّيَّة إسحاق.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ۝١١٣﴾؛ أي: منهم الصَّالح والطَّالح، والعادل والظَّالم الَّذي تبيَّن ظلمه بكفره وشركه.

ولعلَّ هذا من باب دفع الإيهام؛ فإنَّه لمَّا قال: ﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ﴾؛ اقتضى ذلك البركة في ذرِّيَّتهما، وأنَّ من تمام البركة أن تكون الذُّرِّيَّة كلُّهم محسنين، فأخبر الله تعالى أنَّ منهم محسنا وظالما، والله أعلم.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ
أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ
مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ
فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ
مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٤ - ٢٨].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ممتنًّا على عباده بالعافية من شرِّ الكفَّار ومن قتالهم؛ فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾؛ أي: أهل مكة، ﴿عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: من بعد ما قدرتم عليهم وصاروا تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد، وهم نحو ثمانين رجلا انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرَّة، فوجدوا المسلمين منتبهين، فأمسكوهم، فتركوهم ولم يقتلوهم؛ رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾؛ فيجازي كلَّ عامل بعمله، ويدبِّركم أيُّها المؤمنون بتدبيره الحسن.

***

ثمَّ ذكر تعالى الأمور المهيِّجة على قتال المشركين؛ وهي:

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص١٦٧٤.

ط٢. دار السلام: ص٩٣٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

- كفرهم بالله ورسوله.
- وصدُّهم رسول الله ومن معه من المؤمنين أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظِّمين له بالحجِّ والعمرة.
- وهم الَّذين أيضا صدُّوا ﴿ٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا﴾؛ أي: محبوسا، ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾؛ وهو محلُّ ذبحه في مكَّة [1]؛ فمنعوه من الوصول إليه ظلما وعدوانا.

وكلُّ هذه أمور موجبة وداعية إلى قتالهم.

۞ ولكن ثمَّ مانع؛ وهو: وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين، وليسوا بمتميِّزين [2] بمحلَّة أو مكان يمكن أن لا ينالهم أذى، فلولا هؤلاء الرِّجال المؤمنون والنِّساء المؤمنات الَّذين لا يعلمهم المسلمون؛ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾؛ أي: خشية أن تطؤوهم؛ ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾؛ والمعرَّة: ما يدخل تحت قتالهم من نيلهم بالأذى والمكروه.

وفائدة أخرويَّة، وهو: أنَّه ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ فيمنَّ عليهم بالإيمان بعد الكفر، وبالهدى بعد الضلال، فيمنعكم من قتالهم لهذا السبب.

---

(١) في (ب): وهو مكَّة المكرَّمة. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

(٢) في (ب): متميِّزين. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

۞ ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾؛ أي: لو زالوا من بين أظهرهم؛ ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾؛ بأن نبيح لكم قتالهم، ونأذن فيه، وننصركم عليهم.

***

﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٢٦﴾.

۞ يقول تعالى: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾؛ حيث أنفوا من كتابة: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، وأنفوا من دخول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والمؤمنين إليهم في تلك السَّنة؛ لئلَّا يقول الناس: دخلوا مكة قاهرين لقريش، وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهليَّة؛ لم تزل في قلوبهم حتَّى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي.

۞ ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله، والتزموا الشُّروط الَّتي فيها تعظيم حرمات الله -ولو كانت ما كانت- ، ولم يبالوا بقول القائلين، ولا لوم اللَّائمين.

﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾؛ وهي (لا إله إلَّا الله) وحقوقها، ألزمهم القيام بها؛ فالتزموها وقاموا بها، ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ من غيرهم، ﴿وَ﴾ كانوا ﴿أَهۡلَهَا﴾

شبكة الألوكة www.alukah.net

الَّذين استأهلوها؛ لما يعلم الله عندهم وفي قلوبهم من الخير، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٢٦ ﴾.

***

﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ ﴾.

يقول تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ ﴾؛ وذلك أنَّ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه: أنَّهم سيدخلون مكَّة ويطوفون بالبيت، فلمَّا جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجعوا من غير دخول لمكَّة، كثر في ذلك الكلام منهم، حتَّى إنَّهم قالوا ذلك لرسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ألم تخبرنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به؟، فقال: «أخبرتكم أنَّه العام؟»، قالوا: لا، قال: «فإنَّكم ستأتونه وتطوفون به».

قال الله هنا: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ ﴾؛ أي: لا بدَّ من وقوعها وصدقها، ولا يقدح في ذلك تأخُّر تأويلها: ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ ﴾؛ أي: في هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام، وأدائكم للنُّسك، وتكميله بالحلق والتَّقصير، وعدم الخوف،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

﴿فَعَلِمَ﴾ من المصلحة والمنافع ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ الدُّخول بتلك الصِّفة: ﴿فَتْحًا قَرِيبًا ٢٧﴾.

***

ولمَّا كانت هذه الواقعة مما تشوَّشت بها قلوب بعض المؤمنين، وخفيت عليهم حكمتها؛ فبيَّن تعالى حكمتها ومنفعتها -وهكذا سائر أحكامه الشرعية؛ فإنَّها كلَّها هدى ورحمة-:

أخبر بحكم عامٍّ، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ الَّذي هو العلم النافع، الَّذي يهدي من الضَّلالة، ويبيِّن طرق الخير والشَّرِّ، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: الدِّين الموصوف بالحقِّ، وهو العدل والإحسان والرَّحمة، وهو كلُّ عمل صالح مزكٍّ للقلوب، مطهِّر للنُّفوس، مربٍّ للأخلاق، معلٍ للأقدار؛ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ بما بعثه الله به ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ بالحجَّة والبرهان، ويكون داعيا لإخضاعهم بالسَّيف والسِّنان.

شبكة الألوكة www.alukah.net

مِنْ سُورَةِ الْكَوْثَرِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾

[الكَوْثَر: ١ - ٣].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابن سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]:

يقول الله تعالى لنبيِّه محمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ممتنًّا عليه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾؛ أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الَّذي من جملته: ما يعطيه الله لنبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يوم القيامة؛ من النَّهر الَّذي يقال له: (الكوثر) ومن الحوض [٢]؛ طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشدُّ بياضا من اللَّبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم [٣] السَّماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

***

ولمَّا ذكر منَّته عليه: أمره بشكرها؛ فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾، خصَّ هاتين العبادتين بالذِّكر؛

- لأنَّهما أفضل [٤] العبادات وأجلِّ القربات.

---

(١) ط١. دار ابن الجوزي: ص١٩٩٦.

ط٢. دار السلام: ص١١٠٥.

(٢) في (ب): ومن الحوض الَّذي يقال له: الكوثر. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

(٣) في (ب): أوانيه كنجوم السماء. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

(٤) في (ب): من أفضل. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

- ولأنَّ الصَّلاة: تتضمَّن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله [١] في أنواع العبوديَّة، وفي النَّحر: تقرُّب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النَّحائر، وإخراج للمال الَّذي جبلت النفوس على محبَّته والشُّحِّ به.

***

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي: مبغضك وذامَّك ومنتقصك؛ ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ أي: المقطوع من كلِّ خير، مقطوع العمل، مقطوع الذِّكر.

وأمَّا محمَّد صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فهو الكامل حقًّا، الَّذي له الكمال الممكن للمخلوق [٢]؛ من رفع الذِّكر، وكثرة الأنصار والأتباع، صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

---

(١) في (ب): وتنقلها. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

(٢) في (ب): في حقِّ المخلوق. اهـ من حاشية ط. دار ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

. تمَّت .

. والحمد لله ربِّ العالمين .

. وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا محمَّد .

. وعلى آله وصحبه أجمعين .

. فرغ من جمعها وترتيبها .

. محمدخير بن نضال بن محمدخير العزالدين .

. غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولإخوانه ولعموم المسلمين .

. فى مهاجره بمدينة رياض نجد (٢) شهر ذى الحجة سنة (١٤٤٤) .

للتصويب أو الاقتراح: m7md5air.3zz@gmail.com

شبكة الألوكة
www.alukah.net